حجر بن عدي

ثورة ومظلومية

السيد علي الحسيني



دار القارئ



حجر بن عدي

ثورة ومظلومية

بسم الله الرحمن الرحيم

حجر بن عدي

ثورة ومظلومية

السيّد علي الحسيني

دار القارئ

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



دار القارئ

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦



﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك
نعبدُ وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى إمام المتقين ومولى الموحدين .

أبي الحسن والحسين زوج البتول وصهر الرسول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أهدي هذا الجهد المتواضع البسيط عسى أن ينفعنا الله به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

إنه نعمَ المولى ونعم النصير .

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والصلاة والسلام على أشرف الأنام النبيْ الأبطحي الهمام ، الحبيب المصطفى الضرغام ، أبي القاسم محمد بن عبد الله ، وعلى آله الغر الميامين والأئمة الطاهرين والحجج المتقين علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم أجمعين .

فحينما يكون للحق مواضع ، فلا يُظهرها إلا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأدوا الأمانة في سبيل إعلاء كلمة الله.

وهذه الأيامْ تمر وتطويها الليالي ، وترى الصراع قائمٌ بين الخير والشر وكلٌ من فيه يدور في رحاه ، ويسعى لإظهار أمره . فمنهم من يظهره على حساب المبادئ والقيم والأخلاق ، ومنهم من يظهره على حساب المصلحة والأغراض الخاصة والمفادات الشخصية ، فلا يراعي الحق إلا أهله . ولا يظهره إلا رجاله . **﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من لينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**[1] . فحينما يراعى المبدأ ويُعنى بالقيم والأخلاق يظهر الحق بيد خفاقة فتعلوا على رؤوس الأحرار والشرفاء والأخيار . وعندما تتقدم المصالح وتظهر الأغراض الخاصة والمفادات الشخصية المترتبة في نكران الذات وإسكات الضمير وضياع الإخلاص .. يطمسُ الحق وتمدت

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

القيم وتضمحل المبادئ وتضيع الاخلاق . ولا تجد حينها للحق ناصرا وللباطل دافعاً .

ففي غياهب (مرج عذراء) يقبع بطل همام أشارت إليه العظمة بأناملها لنصرة الحق . قد علا بالحق صوته . وسارت على الهدى بصيرته. ومن معهُ بررة أوفياء بالحق شهداء . جسدت كلمة الحق دماؤهم، وهدمت أركان الجبروت حججهم ، وأفزعت الطواغيت رؤوسهم المقطوعة وأصابت قلوب المؤمنين باللوعة . فيا حسرة قد أضرت بقلوب المحبين ويا لوعة باتت تغلي بقلوب الموالين على أجداث غيبتها تربة العذراء . وأظهرت ذكرى الوفاء محاسنهم وأفصح الولاءُ عن صدقهم .

ومن أحب عمل قوم حشر معهم . ومن حق الولاء علينا مناصرتهم لئن كان القدرُ والقضاء حائلاً بيننا وبينهم .. وإذا كان القدرُ والقضاء حائلاً بيننا وبينهم فإن أضعف الإيمان ترسيخ ما جاهدوا من اجله .

فوجدت في نفسي شوقا لمناصرتهم وشعرتُ بالتقصير إن لم اكتب عنهم وإن كان ما كتبت غير لائق بمقامهم أو مؤد القليل من حقهم فتلك هي استطاعتي .. وأقولها وأنا غيرُ راضٍ عنها .. فحق حجر بن عدي وولدهُ ومن معهُ بذل الجهد والمهج لهم ليتحقق القليل من حقهم ويؤدى الضئيل من فضلهم . ولي أملٌ بشفاعة حجر وصحبه عند الإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين ونور اليقين ويعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب أبو الحسن والحسين عليهما السلام . لينظر الي بنظرة من طرفه الكريم . فتنفعني في يوم الدين . والله نعم المولى وهو خيرُ الشاهدين .

٤ جمادي الآخر عام ١٤١٨هـ

سوريا ــ السيدة زينب عليها السلام

الباب الأول

مراتب الشخصية

الفصل الأول
الشخصية الفذة

الشخصية الفذة هي التي تقومها عناصر معينة . وتحيط بها دوافع خاصة .. فتحملها على أن تكون ذات هوية معينة . وتختلف باختلاف العناصر التي تقومها . والدوافع التي تحيط بها . والشخصية ذاتها موجودة في النفس والذات . إلا انها تطلب من صاحبها وحاملها وهي ذات موجودة في النفس وما عليه الا ان ينميها بالعمل وبقوتها حتى تظهر للوجود وتظهر صاحبها وحاملها معها . ولقوله تعالى : **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾**[1] بمعنى ان هناك في ذات كل نفس طاقات وطاقات تظهر بالإرادة الفعالة فتصبح وجودا فعالاً . والشخصية بحد ذاتها طاقة أودعها الله سبحانه في مكنون النفس .. فما تظهر حتى تكون قد عكست ما ورائها حاكية عما في ذاتها . وليست هي بالمظهر الخارجي أو بطريقة المشي او التكلم أو التعامل .

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٥ .

.. نعم هذه كلها نتائج الشخصية وهي الحاكمة عنها . فلربما نجد من يتصنع هذه الأفعال ليبدو أنه صاحب شخصية . حتى أنه يتكلف في مشيته أو بطريقة كلامه وتعامله .. فسرعان ما تجد النفور من قلوب الآخرين وهو قد يعلم وقد لا يعلم . وقد يكون جهلاً مركباً . فتراه لا يعلم بأنه لا يعلم . ويقع الخلط عند البعض ذوي النفوس الضعيفة .. فيتصنعون القوة في الكلام والأفعال . بظنهم أنها من الشخصية القوية . تاركين المقومات الحقيقية التي تصنع الشخصية الفذة والتي بها يكون المرء في المجتمع ذا وجود حقيقي وليس ذا وجود مزيف .. فلو زرعت عناصر الشخصية وأخذت بعين الجد الفعال . لأصبح المجتمع قوياً فعلاً برجال ذوي شخصيات فذة قوية .

عناصر ومقومات الشخصية الأصيلة :

١ - الإرادة .

٢ - العزم .

٣ - القوة .

٤ - الشجاعة .

٥ - السخاء .

٦ - الهمة .

٧ - المروءة .

٨ – الصدق فى القول والفعل .

٩ – الحلم .

١٠– الذكاء .

وينقسم أصحاب الشخصية القوية إلى قسمين :

١– شخصية حقيقية .

٢– شخصية تقليدية .

الشخصية الحقيقية هي التي تحوي المقومات والعناصر العشرة وهي تنقسم إلى قسمين :

أ– شخصية أصيلة ب– شخصية واقعية .

الشخصية الأصيلة :

هي التي توضع بالموضع الصحيح بحيث يثبت لها ذلك الموضع الذي وضعت فيه ، وتثبت ذلك هى بدورها للموضع الذي وضعت فيه ، يعنى الرجل المناسب فى المكان المناسب كما يقال .

وكذلك كما يقول الإمام أمير المؤمنين ع: وقيمة كل امرء ما كان يحسنه ، والمرئ عدو ما جهل . وعلى سبيل المثال .. لو فرضنا أن هناك طبيباً جراحاً جاءوا به لإجراء عملية جراحية . يتعسر على غيره من الأطباء إجراؤها . فيأتى به ويطلب منه اجراء هذه العملية . فهنا عندما يُمنح هكذا فرصة مملوءة بالثقة .

فتلك الثقه هي الموضع الذي وضع لها[١] ، ونجاح العملية نتائج عاليه هو الموضع لها : يعني ان الثقة التي منحت للطبيب هي بمثابة الموضع الذي يثبت للشخصية الاصيلة ، والنجاح والمهارة والدور الفعال هو الموضع الذي وضعت فيه الشخصية الأصيلة واثبتت فيه الجدارة .

والشخصية الواقعية . هي التي يتوافق الحق معها اين ما كانت وتتوافق هي مع الحق أين ما كان .

الشخصية التقليدية :

وهي التي تحمل ظاهر العناصر والمقومات . وليس لها من جوهر مقومات الشخصية شيء . هذا من جانب ومن جانب اخر . تعمل بالعناصر ومقومات الشخصية عملا ظاهرا ومالها من واقع عناصر الشخصية الأصيلة من شيء .

فترى صاحب الشخصية الحقيقية تلازمه الصفاتُ الحسنة بحيث أين ما حل حلت معه وأين ما نزل لحقت به فلا يقال الا عاقلٌ حازمٌ ، أو قويٌ شجاع ، أو سخيٌ ذو همة أو شهمٌ صادقٌ او حليمٌ ذكيٌ .

(١) اي الشخصية الأصيله .

فحينما تظهر تلك الصفات بحق ، تتجسد الشخصية الحقيقية بما لديها من ذات صحيحة تحمل مقومات صحيحة وتكون أهلاً لأن يُهتدى بها ويقتدى بسلوكها . بعكس الشخصية التقليدية فإنها تحمل الصفات الحسنة بشكل ظاهر تقليدي لا بشكل حقيقي . وتجدُ رجالا ذات شخصية حقيقية يتحيرُ الناظرون لأفعالهم . فكلما زاد الضغط عليهم زادهم صلابة . ككف من الرمل لو أنك سلطة عليه ضغطا وقوة هائلة لرأيت كيف تلتصق ذراته بعضها ببعض وحباته بعضها بالبعض الاخر .. حتى تصبح حجرا واذا زاد الضغط تصبح صخرة . وهكذا كلما زاد الضغط على ذوي الشخصيات الفذة القوية .. زادت صلابتهم وقوتهم . ولولا الإيمان الراسخ والمقومات الصحيحة لما تمكن ذووا الشخصيات القوية بالثبات والنفوذ في المجتمعات.

لكنك تجدُ في المقابل شخصيات ذات نفوذ في المجتمع .. قد ثبت نفوذهم ودار أسلوبهم وتحرك واقعهم . وما ذلك من ايمان راسخ أو مقومات صحيحة . بل هو من مصلحة أو مصالح ذاتية وصراع من أجل البقاء . وقد يقال عن أمثال هؤلاء اصحاب شخصيات قوية .. إلا أنها شخصيات تقليدية وليست شخصيات حقيقية . ويقع الالتباس فى نفوس الضعفاء فيتوهمون بكل م

تستحقه كلُ شخصية بما تحمل في طياتها من قوة حقيقية أو صفات تقليدية .

وعلى هذا الحال .. يعلو الباطل عند ذوي الخساسة والسفاهة .. ويدنو منهم محبوهم ومناصروهم. **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾**(١).

ويبقى لرجال الحق صولات في ميادين الحياة .. فلا يضعون الحق إلا في مواضعه ويدحضون الباطل فيردوه على اعقابه .. ودوافع الرجال بمبادئهم ومبادئهم غاياتهم .. فإن حسنت مبادئهم صلحت حياتهم وسلمت شخصياتهم .. وإن ساءت مبادئهم فسدت حياتهم وضاعت شخصياتهم . ويبقى : لصاحب الحق دولة ولصاحب الباطل جولة . **﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾**(٢) .

والشخصية كيان مستقل بذاته .. فصاحب الشخصية القوية هو ذاك المحافظ على كيانه واستقلاله . بمعنى محافظ على كيان شخصيته واستقلالها.

فإن كان مع الحق كانت شخصيته ذات كيان صلب لا يتهاون في قيامه ، وترى الجد ظاهرا على أفعاله وأقواله ، والصدق

---

(١) سورة الأنفال : الاية ٧٣ .

(٢) سورة فاطر : الاية ٤٣ .

مصاحباً له حيث ما كان . وليس كل شخصية قوية هى فى الحق قوية . بل هناك شخصيات بعيدة عن الحق وأصله والعدل وفروعه ، وتراها قوية . لأنها كما ذكرت كيان مستقل بصاحبها . فالظالم مثلا نجده صلباً حازما في أفعاله وأقواله ليس معناه أنه يملك شخصية فذة صحيحة . بل هو كيان فارغ سرعان ما ينهار أمام عواصف الحق والعدالة والحرية . فكيان معاوية بن أبي سفيان ويزيد وعبيد الله بن زياد وزياد بن أبيه ومروان بن الحكم وأمثال هؤلاء ممن ظهروا بقوة الطغيان وقسوة الباطل وجور الظالم متخذين لأنفسهم شخصيات . وكيانات .. يظنون بأنهم شيء وهم من لا شيء وأقل الأشياء قيمة وقدرا .. لا تساوي قيمتهم وقدرهم شيء ويبقى الضال يعيش بوهم .. والمهتدي يسير ببصيرة من عند ربه ، وهو خير هاد وخير نصير .

شخصية الصحابي حجر بن عدي :

امتازت شخصيةُ الصحابي الجليل حجر بن عدي ، بالورع والزهد والانصياعِ إلى الحق كيف ما كان وأين ما كان ولم يكن هناك شيء يحولُ بينه وبين إقامتهِ ، شخصيةٌ ظفرت بالاسلام وحوت الإيمان وسلكت طريق الجنان وفازت برضى الرحمن . فحجرٌ بن عدي شخصيةٌ فذة حوت المقومات الصحيحة وصارت

علماً يهتدي الاخرين ، شخصيةٌ ذات حزمٍ وعزم ويقين ، وكل عنصر من عناصر الشخصية تراه كامنٌ في ذات شخصيته ظاهرٌ عليها كلُ موضع بموضعه .

وإنما يعرفُ الرجالُ بصلابتهم من أجل مبادئهم . وتتمايز الشخصيات النبيلة عن الشخصيات الوضيعة بقوة المعرفة وملازمة الحق . والسعي إلى إعلائه ، أين ما كان وكيف ما كان . فلقد كانت شخصيةُ حجر من هذا النوع بحيث كان رضوان الله تعالى عليه لا يساوم في الحق ولا يتخذ عنه بديلاً . فأنت أيها القارئ الكريم ستتعرف على شخصية حُجر من خلال هذه الصفحة وغيرها من الصفحات ومن خلال قراءتك لحياة حجر بن عدي وإطلاعك على القوة والصلابة .. والحزم والإرادة .. والكرم والشجاعة .. والحلم والذكاء .. والعزم والهمة . في شخصية الصحابي الجليل . فالصفاة والأفعال تكشف عن حقيقةِ صاحبها . وكما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الإناءُ ينضحُ بما فيه والمرءُ مخبوءٌ تحت لسانه[١] .

وكل صفات حجر بن عدي وأفعاله وأقواله تكشف عن العمق في الإيمان واليقين ، وعن الصدق في الإسلامِ والولاية ، وناهيك عن ذلك دليلاً وبرهاناً .. رأسه الشريف في قبال الولاية لأمير المؤمنين صلوات الله عليه . ولم تكن الصفات والأفعال

---

(١) راجع غرر الحكم .

وحدها كاشفة عن القوة والصلابة فى شخصية حُجر . بل منطقه بالحق أيضاً .

فهو بالإضافة إلى القوة والصلابة في الأفعال والصفات كان بالوقت نفسهُ ثورة كلامية جسدت كل كلمة من كلماته معنى للحق الواجب إقامتهُ آنذاك وشخصيةُ حجر فطرت على التوحيد واعتنقت الإسلام ، وآمنت بالرحمن. فبدى واضحا ظاهرا عليه الإيمانُ المطلق والولاء الصادق ، وغلب على شخصيته التقوى والورع . والزهد والعبادة ، وكانت تعرف في وجهه الربانية وفي سمته الرهبانية ، وكانت محبة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ تشكل جانبا مهما في شخصية حجر . فقد كان مأموماً صالحا وتلميذا مثابرا ومحبا مخلصا ومدافعاً شجاعاً ، ومفتدياً متفانياً ، وكل هذه الأمور شكلت جانبا مهما في حياتهِ وشخصيته . ولو لم يكن حُجر يحملُ نفسا أبيه لما استطاع من الوقوف والتحدي للظالمين . ونفسه الأبيه جعلته صارماً صلباً في الحق ، والنفس القوية هي التي تتحلى بالأخلاق الرفيعة . فيعلوها العز ويغمرها التواضع وتحقق بسعيها المبادئ ، وتحفض القيم حتى تصل إلى ذروةِ غايتها . وقد أشار إمامُ المتقين علي أمير المؤمنين ﷺ إلى هذا المعنى بقوله : (ذروة الغايات لا ينالها إلا دو التهذيب والمجاهدات)(١) . لأنهم يقدمون مبادئهم على كل مصلحة . ويقفون موقفاً جديا حتى من الحلال . بحيث لا يتناولونه إلا لضرورة

(١) غرر الحكم .

ملحة ، وإذا تناولتة أيديهم لم تشاركهم قلوبهم. لأن قلوبهم وأفئدتهم متعلقة بالله العلي الأعلى . وبحياة أهل البيت وما فيها من قيم وأخلاق ومبادئ . ومظلوميه وحق ضائع . وإذا قيل .. لا داعي لانشغال القلوب والأفئدة بأهل البيت الأربعة عشر معصوم. صلوات الله عليهم اجمعين ، والله أحق بالتفكير فيه والقلبُ أولى بالاهتمام به .. لأنه الخالق والصانع والبارئ والمعيد ، وأهل البيت الأئمة الإثنا عشر من خلق الله، ليسوا أكثر من مخلوقين والتفكيرُ والاهتمام والانشغال بالخالق أهمّ من المخلوق !!، قلنا وأي السبل هي الأقربُ إلى الله لنيل رضوانه . وإذا كان قول النبي (صلى الله عليه وآله) . تفكرُ ساعة خيرٌ من عبادة سنة ، فإن التفكير له دور في تحقيق شيء من رضا الله وذلك بتحقق العبادة. ومتى كان التفكير يحقق العبادة ؟ متى ما كان موصل إلى كشف الحقائق التي يرتضيها الله جل جلاله . وإنما جعل الله هذا الفضل للتفكير لكونه يوصل بصاحبه إلى الحقيقة التي يتعب البعض من الوصول إليها . وهذا جانب صغير والسبيل إلى رضوان الله كبيرٌ وكبير بحيث أننا لا نهتدي إليه إلاّ بمن هم أهدى الخلق إليه ، وهم النبي وأهل بيته الذين هم أعرف الناس بالله وكلما قل التعرفُ عليهم زاد البعدُ عنهم وكلما قوي الاعتقاد بهم قوي التمسك بهم وقوّيت الرابطة . وإذا قوّيت الرابطة عرفنا منهم الكثير عن الله وعن أمور ديننا وكانوا لنا شفعاء ، وعسى أن نكونَ مستحقين . والذي يعيننا على ذلك تزكية النفوس ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **قد أفلح من**

زكاها وقد خاب من دساها ﴾[١] وكما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام (النزاهة من شيم النفوس الطاهرة)[٢] .

وكذلك قوله عليه السلام : (المرء حيث وضع نفسه برياضته وطاعته، فإن نزهها تنزهت وإن دنسها دنست)[٣] . وحينما يذكر عليه السلام هذه الكلمة برياضته فمراده الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس وكما يقول في موضع اخر انما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي امنة يوم الفزع الأكبر . والله تبارك وتعالى انما يساعد الإنسان على بلوغ هذه الرتب. بالنبي وآله لقوله تعالى : **﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾**[٤]، وكذلك ورد في قوله تعالى : **﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[٥] .

---

(١) سورة الشمس : الآيات ٩ / ١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) غرر الحكم .

(٤) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٥) سورة ال عمران : الآية ١٦٤ ، وفي سورة البقرة جاءت في ابة : ١٢٩ **﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾**

الباب الثاني

مسند الصحابي حجر بن عدي

ويدعى[١] حُجْر بن الأدبر بن جبلة الكِنْدي الكوفي ، أبو عبد الرحمن كما ذكره الذهبي في تاريخه وقيل لأبيه : الأدبر ، لأنه طُعن مولّياً[٢] .

ولحُجْر صحبة ووفادة ، ما روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) شيئا .

سمع من : عليّ وعمّار ، وعنه : مولاه أبو ليلى ، وأبو البخْتري الطائي . شهد صفّين أميراً مع علي عليه السلام .

---

(١) (حجر بن عدي) انظر في : تاريخ اليعقوبي ١٩٦/٢و ٢٣٠ ، وسيرة ابن هشام ٦٤/٤ ، والأخبار الطوال ٢٢٨و ١٤٥و ١٤٦و ١٥٦و ١٧٥و ٢١٠و ٢١٣و ٢٢٠و ٢٢٣ ، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٧٣٢و ٣٦٦ ، والتاريخ الصغير ٥٧ ، والتاريخ الكبير ٧٣/٣ رقم ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢٦٦/٣ رقم ١١٨٩ ، والمعارف ٣٣٤ ، وطبقات ابن سعد ٢١٧/٦و ٢٢٠ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٦ ، والأغاني ١٣٣/١٧ــ١٥٥ ، ومشاهير علماء الأمصار ٨٩ رقم ٦٤٨ ، والزيارات ١٢ ، وعيون الأخبار ١٤٧/١ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٨٧/٤ــ٩٠ ، وأسد الغابة ٣٨٥/١ــ٣٨٦ ، والمستدرك ٤٦٨/٣ــ٤٧٠ ، والمعجم الكبير ٣٩/٤ رقم ٣٤٠ ، وتاريخ خليفة ١٩٤و ١٩٧و ٢١٣ ، وطبقات خليفة ١٤٦ ، ودول الإسلام ٣٨/١ ، وأنساب الأشراف ٨٩/١ ، والكامل في التاريخ (انظر فهرس الأعلام) ٨٩/١٣ ، والاستيعاب ٣٥٦/١ ، والعبر ٥٧/١ ، ومرآة الجنان ١٢٥/١ ، والبداية والنهاية ٩٠/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٢/٣ــ٤٦٧ رقم ٥٩ ، وتلخيص المستدرك ٤٦٨/٣ــ٤٧٠ ، والمعرفة والتاريخ ٣٢٠/٣ ، والإصابة ٣١٤/١ــ٣١٥ رقم ١٦٢٩ ، وشذرات الذهب ٥٧/١ ، ... ١٦٢٩/١١ ، وشذرات الذهب ٥٧/١ ، والوافي بالوفيات ٣٢١/١١ــ٣٢٣ رقم ٤٧١ ، ... ١٤١/١ ، وتاج العروس (مادة : حجر) ، والأعلام ١٧٦/٢ .

(٢) سيأتي ذكر ومعنى مولياً فيما بعد مفصلا .

الفصل الأول

نسبه وكنيته

حُجْرٌ بْنُ عدِيٍّ (١)

---

(١) طبقات ابن سعد ٢١٧/٦ ، طبقات خليفة ت ١٠٤٢ ، العبر ٢٩٢ ، التاريخ الكبير ١٢/٣، التاريخ الصغير ٩٥/١ ، المعارف ٣٣٤ ، الجرح والتعديل ٢٦٦/٣ ، تاريخ الطبري ٢٥٣/٥، مروج الذهب ١٨٨/٣ ، مشاهير علماء الأمصار ٦٤٨ ، الأغاني ١٣٣/١٧ ، جمهرة انساب العرب ٤٢٦ ، تاريخ ابن عساكر ١٣١/٤ ، الكامل ٣٤٧٢ ، تاريخ الإسلام ٢٧٥/٢ ، مرآة الجنان ١٢٥/١ ، البداية والنهاية ٤٩/٨ ، شذرات الذهب ٥٧/١ ، تهذيب ابن عساكر ٨٧/٤ ، الإصابة ت (١٦٣٤) ، الطبقات الكبرى : ج٦ ــ ص٢٤١ ، هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع بن معاوية بن كندة الكندي ، وهو المعروف بحجر الخير ، وهو ابن الأدبر ، وإنما قيل لأبيـه عدي الأدبر ، لأنه طُعن على أَلْيَته مولياً ، فسمي الأدبر .

قد زادت كلمة الأكرمين في سلسلة اباء حجر رضوان الله عليه في غير ما جاء في الطبقات والطبري .

بينما نرى أن الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام احداث (٤١ــ٦٠) لم يذكر من نسبه إلا الشيء البسيط .

ومن هذه الطبقة ممن روى عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

....

- حُجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي ، وهو حُجرُ الخير . وابوه عدى الأدبر طعن موليا فسمي الأدبر . وانما كان ذلك بسبب مبارزة دارت بينه وبين شخص ، فلما غلبة خصمه اي خصم علب عديا فلم يتمكن من طعنه ، وجها لوجه . لان عديا دار ظهره منسحب عن الخصم ، فضرب على إليته فسمى بتلك الأدبر . وهذا هو سبب تسميته بعدي الادبر . بينما نرى حجرا قد لقب في كتب التراجم والتاريخ بحجر الخير .

تاريخ مدينة دمشق ص٢٣٥ هو : حُجر بن عدى الأدبر بن جبلة ابن عدى بن ربيعه بن معاوية لاكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن مُرتع بن ثور - فى جمهرة انساب العرب ٤٢٦ بن مرتع بن معاوية بن كندة " وهو كنده بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة ابن ادد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ وسمي ابوه الادبر لانه طعن موليا فسمى الأدبر . وكنيته أبو عبد الرحمن الكندى .

الفصل الثاني
لماذا اتخذ حجر الكوفة مستقراً له ؟

وكان يقال : أول ذلّ دخل على الكوفه قتل حجر بن عدي وهو ما ذكره ابن عساكر الدمشقي في تاريخه ، ذلك لأن حجر كان له دور في تحرير بوابة الشام أيام الفتوحات الإسلامية ، ولأنه رضوان الله عليه كان صحابياً جليلاً ممن سمع النبي وشهد صلاته ، وجاهد معه إلى أن انتهى أمر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أمر ربه وصارت الكوفة تحت خلافة الإمام علي بن أبي طالب حيث انتقل إلى الكوفة عندما استلم الخلافة بعد موت عثمان بن عفان الخليفة الثالث وعندها انتقل حجر مع الإمام علي عليه السلام ملازما له متخذا الكوفة مقرا وموطناً . حتى استشهاد الإمام عليه السلام بمسجد الكوفة ، بقيت بيد المسلمين حتى استولى عليها معاوية بن أبي سفيان الذي كان طليق النبي (صلى الله عليه وآله) هو وأبوه أبو سفيان ، وما كانا يدخلان الإسلام حتى كان فتح مكة ودخول النبي لها فاتحا في عشرة آلاف مقاتل وقال لهم ماذا تظنون أني صانعٌ بكم قالوا أخٌ كريم وابن أخٍ . فقال (صلى الله عليه وآله) اذهبوا فأنتم الطلقاء . فأطلق النبي (صلى الله عليه وآله)

من لم يكن مسلماً من أسر المسلمين وقبضة المؤمنين . فدار الزمان على اهل بيت النبي وجار عليهم وأصبحت الكوفة مأوى لأعداء الإسلام وأهل البيت ومجمعاً لقتلة المؤمنين وإمام المتقين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . صارت الكوفة معقلاً للظالمين . وذلك لسوء طالعها وشر نجمها وخبث معدنها ، وإنما اكتسبت ذلك من الذين سكنوها وخربوها بأفعالهم وأزالوا خيرها بشر نفوسهم، وإلا فإن فيها بقعٌ من الجنة وعيون من عيون الجنة وفيها مهبط الأنبياء ومستقر الأولياء ولو لم يكن فيها ذلك الخير لما انتقل إليها الإمام علي بن أبي طالب وجعلها عاصمة الدولة الإسلامية التي كان الإمام علي حاكماً لها ، ولعل من الأسباب التي دفعت الإمام علي عليه السلام إلى اتخاذ الكوفة عاصمة له ، أنه كان عالماً بنفوس أهلها[١] وما سيحصل منهم في حقه وحق أهل بيته ، فأراد أن يصلح من تلك النفوس على حد أقل وذلك أن يقلل من شرورهم بإجبارهم على ملازمة الحلال وترك الحرام . وقد عمل الإمام علي عليه السلام مع أهل الكوفة بغية إصلاحهم وتغير الواقع الذي اعتادوا عليه ولكن لا جدوى . نعم كان هناك من الصالحين والأولياء الذين عرفوا قدر الإمام علي وناصروه وناصروا من بعده أولاده الحسن والحسين عليها السلام . والكوفة بكل ما ضمته من نفوس شريرة ، كانت تضم وتحتضن العديد من الأولياء والكرامات وإما سميت الكوفة لما لها من مزايا[٢] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ـ ص٢٤٠ .

(٢) معجم البلدان ـ ج٤ ـ ص٤٩٠ ـ طبعة عام ١٤٠٤ ـ بيروت .

فالكوفة : بالضم : المِصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خدّ العذراء ، قال أبو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كُوفانا وكوفانا ، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم : قد تكوّف الرمل ؛ وطول الكوفة تسع وتسعون درجة ونصف الدرجة : وحدة قياس كانت تستخدم في ذلك الوقت لمعرفة الأبعاد ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان ، وهي في الإقليم الثالث ، يتكوّف تكوّفا إذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : أخذت الكوفة من الكوفان ، يقال : هم في كوفان أي في بلاءٍ وشر ، وقيل : سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد ، من قول العرب : قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة ، ويقال : كفْتُ أكيفُ كيَفاً إذا قطعت ، فالكيفة قطعة من هذا انقلبت الياء فيها واوا لسكونها وانضمام ما قبلها ، وقال قطُرُب : يقال القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم ، قال أبو القاسم : قد ذهبت جماعة إلى أنها سميت الكوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة ، وقال آخرون : سميت كوفة لأن جبل ساتيد ، ما يحيط بها كالكفاف عليها ، وقال ابن الكلبي : سميت باسم جبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة : محور الموضع ومركزه موضعها وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به، فيه فى اشتقاق كافٍ ؛ وقد سمّاها عبْدة بن الطبيب كوفة الجند .

وأما تمصيرها[١] وأوليته فكانت في أيام عمر بن الخطاب في السنة التي مُصّرت فيها البصرة وهي سنة ١٧هـ ، وقال قوم : إنها مُصّرت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩هـ ، وقيل سنة ١٨هـ ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : لما فرغ بن أبي وقاص من وقعة رُستم بالقادسية وضمَن أرباب القرى ما عليهم بعث من أحصاهم ولم يسمهم حتى يرى عمر فيهم رأيه ، وكان الدهاقين ناصحوا المسلمين ودلوهم على عورات فارس[٢] ، وأهدوا لهم وأقاموا لهم الأسواق ثم توجه سعد نحو المدائن إلى يزدجرد ، وقدم خالد بن عرفطة حليف بني زهرة بن كلاب فلم يقدر عليه سعد حتى فتح خالد ساباط المدائن ثم توجه إلى المدائن فلم يجد معابرا فدلوه على مخاضة[٣] عند قرية الصيادين أسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا ، وهرب يزدجرد إلى إصطخر فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبى أهلها فقسمها سعد بيّن اصحابه ونزل كل قوم في الناحية التي خرج بها سهمه فأحياها فكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب إليه عمر حوّلهم ، فحوّلهم إلى سوق حكمة ، فنفضوا فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه : إن العرب لا يصلحها البلدان إلا ما أصلح الشاة والبعير فلا تجعل بيني وبينهم بحرا وعليك

(١) تمصيرها : أي جعلها خاضعة لولايته .

(٢) عورات فارس : أي رؤوس الطرقات والمداخل الرئيسية لبلاد الفرس والديلم .

(٣) مخاضة : بحيرة صغيرة تستطيع الخيل عبورها .

بالريف ، فأتاه ابن بُقيلة فقال له : أنا على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المبق قال : نعم ، فدله على موضع الكوفة اليوم يقال له سورُستان ، فانتهى إلى موضع مسجدها متوعلا فرمى بسهم قبل مهبّ القبلة[1] فعلّم على موقعه ، ثم غلا بسهم قبل مهب الشمال فعلّم على موقعه ثم علم إمارتها ومسجدها في مقام الغالي وفيها حوله ، ثم لنزار وأهل اليمن سهمين فمن خرج اسمه أولا الجانب الشرقي وهو خيرهما فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط في الجانب الغربي من وراء تلك الغايات والعلامات وترك ما دون تلك العلامات فخط المسجد ودار الإعلام بالخط فلم يزل على ذلك ، وقال ابن عباس : كانت من أهل الكوفة قبل أن تُبنى أخصاصا من قصب غزوا ، قلعوها وتصدّقوا بها فإذا عادوا بنوها فكانوا يعرون ونسائهم معهد، فلما كان في أيام المغيرة بن شُعبة بنت القبائل باللّبن ، من غير ارتفاع ولم يكن غرف ، فلما كان في أيام إمارة زياد بنوا أبواب الآجُرّ ، فلم يكن في الكوفة أكثر من أبوب الأجُرّ من الخرزج[2] ، وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم ، فكانت على أربعين ألف إنسان ، فلما قدم زيد زاد

(١) رمي الأسهم كان سابقا يستعمل لمعرفة أن الأرض كم سعتها أو كم هي المساحة . ولذلك عندنا بالفقه لمعرفة وجود الماء ومقدار المساحة التي نبحث فيها عن الماء ففي الأرض تسهله مسافة رمية سهمية ، وفي الأرض الحزنة يعني انه عرد مسافة رميه سهم واحد

(٢) الحزرج : نوع من أنواع الأحجار يستعملونه في البناء

فيه عشرة الاف إنسان وجاء بالاجُرّ وجاء بأساطينه من الأهواز (١).
قال أبو الحسن محمد بن علي بن عامر الكندي النبدار أنبأنا علي بن الحسن بن صبيح البزاز قال : سمعت بشر ابن عبد الوهاب القرشي مولى بن أمية وكان صاحب خير وفضل وكان ينزل دمشق، وذكر أنه قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلثي ميل وذكر أن فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومُضر وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن ، أخبرني بذلك سنة ٢٦٤هـ ، وقال الشعبي : كنّا نعدّ أهل اليمن اثنى عشر ألفاً وكانت نزار ثمانية الاف ، وولى سعد بن أبي وقاص السائب بن الأقرع ، وأبا الهيّاج الأسدي خطط الكوفة فقال ابن الأقرع لجميل بن بُصبُهْري دهقان الفلوجة : اختر لي مكاناً من القرية ، قال: ما بين الماء إلى دار الإمارة ، فاختط لثقيف في ذلك الموضع، وقال الكلبي : قدم الحجاج بن يوسف على عبد الملك بن مروان ومعه أشراف العراقيين ، فلما دخلوا على عبد الملك بن مروان تذاكروا أمر الكوفة والبصرة ، فقال محمد بن عُمير العُطاردي : الكوفة سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وحرّها فهي بريّة مرئية مريعة إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور وإذا هبّت الجنوب جاءتنا ريحُ السواد ووردِه وياسمينه وأُترنجِه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصِب ، فقال عبد الملك بن

(١) معجم البلدان : ج٤ ـ ص٤٩١ ـ طبعة عام ١٤٠٤ ـ بيروت .

الأهتم السعدي : نحن والله يا أمير المؤمنين أوسع منهم بريّة وأعد منهم في السرية وأكثر منهم ذُريّة وأعظم منهم نفراً ، يأتينا موتنا عفواً صفواً ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو قائد ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين إن لي بالبلدين خبراً ، فقال : هات غير متّهم فيهم ، فقال : أما البصرة فعجوز شمطاء بخراء دفراء أُوتيت من كل حليّ ، وأما الكوفة فبكر عاطلٌ عيطاء لا حليّ لها ولا زينة، فقال عبد الملك : ما أراك إلا قد فضّلت الكوفة ، وكان عليّ عليه السلام يقول : الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحُه يضعه حيث يشاء، والذي نفسه بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز ، وكان سلمان الفارسي يقول: أهل الكوفة أهل الله وهي قُبّة الإسلام يحنُ إليها كلُ مؤمن ، وأما مسجدها فقد رُويت فيه فضائل كثيرة ، روى حبّةُ العُرني قال: كنتُ جالساً عند علي عليه السلام فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين هذه راحلتي وزادي أُريد هذا البيت أعني بيت المقدس ، فقال عليه السلام : كُلْ زادك وبعْ راحلتك وعليك بهذا المسجد ، يعني مسجد الكوفة ، فإنه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد والبركة فيه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته وهي نازلة من كذا ألف ذارع ، وفي زاويته فار التنور وعند الأسطوانة الخامسة صلى إبراهيم عليه السلام ، وقد صلى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ، وفيه عصا موسى والشجرة اليقطين ، وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق ، وفيه مسير لجبل الأهواز ، وفيه مصلىّ نوح عليه السلام ، ويُحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ووسطه

على روضة من رياض الجنة وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين ، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوا، وقال الشعبي : مسجد الكوفة هو ستة اجربه ، ولما بنى عبيد الله بن زياد مسجد الكوفة جمع الناس ثم صعد المنبر ، وقال : يا أهل الكوفة قد بنيت لكم مسجدا لم يُبْن على وجه الارض مثله وقد أنفقت على كل أسطوانة سبع عشرة مائة ولا يهدمه إلا باغ أو جاحدٌ ، وقال عبد الملك بن عُمير : شهدت زياداً وطاف بالمسجد فطاف به وقال: ما أشبهه بالمساجد[1] .

قد أُنفقت على كل أسطوانة ثماني عشرة مائة ، ثم سقط منه شيء فهدمه الحجاج وبناه ثم سقط بعد ذلك الحائط الذي يلي دار المختار فبناه يوسف بن عمر ، وقال السيد إسماعيل بن محمد الحميري يذكر مسجد الكوفة:

لعمرك! ما من مسجد بعد مسجد — بمكةَ طهراً أو مصلى بيثرب
بشرق ولا غرب علمنا مكانه — من الأرض معمورا ولا متجنَّب
بأبين فضلاً من مصلًى مبارك — بكوفان رحب ذي أواسٍ ومخصب
مُصلًى، به نوحٌ تأثَّل وابتنى — به ذات حيزوم وصدرٍ محنَّب
وفار به التنور ماء وعنده — له قيل أيا نوح في الفلك فاركب
وباب أمير المؤمنين الذي به — ممرٌّ أمير المؤمنين المهذَّب

عن مالك بن دينار قال : كان علي بن أبي طالب إذا أشرف على الكوفة قال :

(١) معجم البلدان : ج٤ ــ ص٤٩٢ ــ طبعة عام ١٤٠٤ ــ بيروت .

يــا حبذا مقــالنا بــالكوفة ارض سواء سهلة معروفه
تعــرفنا جــمالنا العــلوفة

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن أهل الكوفة وخذو القراءة عن أهل المدينة وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة . ومهما قدّمنا من صفاتها الحميدة فلن تخلو الحسناء من ذام . قال النجاشي يهجو أهلها :

إذا سقى الله قوماً صَوْب غادية فلا سقى الله أهل الكوفة المطـرا
والسارقين إذا مــا جنّ ليلُهم ، والدارسين إذا ما أصبحوا السُورا
ألق الــعداوة والبغضاء بينهمُ حتى يكونوا لمــن عاداهمُ جــزرا

وأما ظاهر الكوفة فإنها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغريّان وهناك من المتنزهات والديرة الكبيرة فقد ذكرتها بعض الكتب بشكل مقتضب على ما اقتضاه ترتيب أسمائها ، ووردة راملة بنت الحسين بن المُنفذ بن الطمّاح الكوفي فاستوْبلتها فقالت :

ألا لــيت شعري هــل أبيتّن ليلة وبيني وبين الكوفــة النَــهران؟
فإن ينجني منها الذي ساقني لها فــلابُدّ مــن غمرٍ ومــن شنآن

وأما المسافات فمن الكوفة إلى المدينة نحو عشر مراحل ، ومن المدينة إلى الكوفة نحو عشر مراحل طريق الجادّة . ومن الكوفة الى مكة أقصر من هذا الطريق نحو من ثلاث مراحل لأنه اذا انتهى الحاّل إلى معدن النَقْرة عدل عن المدينة حتى يخرج الى معدن بني سُليم ثم إلى ذات عرق حتى ينتهي إلى مكة ، ومن حُفّاظ الكوفة محمد

بن العلاء بن كُريب الهمداني الكوفي ، سمع بالكوفة عبدالله بن المبارك وعبدالله ابن إدريس وحفص بن غياث ووكيع بن الجرّاح وخلقا غيرهم ، وروى عن محمد بن يحيى الذّهلي وعبدالله بن يحيى الذهلي وعبدالله بن يحيى بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان الثوري وأبو عبدالله البخاري ومسلم بن الحجاج وأبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي وأبو عبدالرحمن النسائي وأبو ماجة القزويني وأبو عُرْوة المراي وخلق سواهم . وكان ابن عقدة يقدمه على جميع مشايخ الكوفة في الحفظ والكثرة فيقول : ظهر لابن كُريب بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث ، وكان ثقة مجمعا عليه ، ومات لثلاث بقين من جمادي الأولى سنة ٢٤٣ ، وأوصى أن تُدفن كتُبه فدُفنت(١) .

(١) معجم البلدان : ج٤ ، ص٤٩٣،٤٩٤ ، طبعة عام ١٤٠٤ ـ بيروت .

الفصل الثالث
مكانته عند الرسول

إن للمؤمن عند الله مكانتاً وكرامة وحرمة ومن حرمته على الله أن يحفظ دمه ويحفظ عرضه وماله ولمن اعتدى عليه عذاب جهنم وبئس المصير فقد ذكر الله سبحاه في كتابه : **﴿ ومن يقتلْ مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنهُ وأعد له عذاباً عظيماً ﴾**[١] .

وإنما خلق الله الناس ليعبدوه من بعد أن يعرفوه لا أن يعتدي بعضهم على بعض ، وبالذات يحفظ المؤمن من الاعتداء عليه لأنه ليس كغيره من الناس ، لأنه عرف الله فآمن به فجعل لمعرفته وإيمانه وشخصه وماله وعرضه حرمة ، ثبتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع لما خطب وقال من جملة خطابه إن دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم[٢] .

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١٩ ــ ص٣ .

ومعنى مجمل كلامه (صلى الله عليه وآله) إن دماء وأموال وعرض بعضكم على بعض حرام، حرم الله الاعتداء عليها كما حرم الاعتداء على حُرم الله وكما اجتمع فقهاء المسلمين على أن من قتل هامة[١] من هوام الأرض - وهو محرم في الحج - فسُد إحرامه ومن فسُد إحرامه بطل حجه . فلهذا قال النبي في خطابه كحرمة شهركم هـذا وبلـدكم هذا. وهكذا هو المؤمن عند الله له حرمه ، حرم الله الاعتداء عليـه . وكما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : لزوال الدنيا عند الله أهون مـن قتل رجل مسلم[٢] . وهذا الحديث يبرز عظمة حرمـة المـؤمن فقـد أعطى للمسلم هذا القدر ، حيث أن المؤمنَ غيرُ المسلم مـن ناحيـة الإيمان والمعرفة ومع ذلك لأنه أي المسلم يقول لا إلـه إلا الله فتعـد الدنيا بأسرها لو زالت أهون من زوال رجل مسلم يلفظ على لسـانه لا إله إلا الله . فكيف إذا كان مؤمناً وقد قتل ظلماً وكان صحابياً مـن صحابة رسول الله وكان هذا الصحابي عابدا ناسكاً صـالحاً فاضـلا قارئا للقران من أصحاب صلاة الليل ، الذين لا ينفتلـون عنهـا ولا يتوقفون وكان القاتل يعتبر نفسه من الصحابة وفاتحا عظيما والفاتـل ظلماً لا يوفقَ للتوبة ولا يرى باب الجنة أو يشم ريحها فقد ذكر النبي

---

(١) هامه يعني : خلق من خلق الله كأن يكون حشرة أو بقرة أو عصفور أو فيل وبمعنى آخر كلّ ما هامة على الأرض.

(٢) الترغيب : ج٣ ــ ص٢٩٣ .

(صلى الله عليه وآله) : إن الرجل ليُدفع عن باب الجنة أن ينظر اليها بمحجمة[١] من دم يريقها[٢] من مسلم بغير حق[٣] .

ومراد النبي (صلى الله عليه وآله) بيان مكانة القاتل وبعده عن رضوان الله ورحمته . ويبقى القاتل بحسرته فإذا كان أهل الجنة على أبواب جناتهم ليدخلون فيها وأما القاتل فيدفعَ عنها ويمنع حتى من النظرِ إليها لأن مجرد النظر إلى باب الجنة يبعث الدعة والراحة والسرور ، والله لا يريد لقاتل المسلم أن يرى شيئا من السرور ولا حتى من باب الجنة ليبقى في حسرته مختنقا .

وها هي عائشة تنقلُ إلينا مكانة حجر وأصحابه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسؤال تطرحهُ على معاوية لما دخل عليها في الحج حيث يحدث أبو الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حمّلك على قتل أهل عذراء ، حجر وأصحابه؟ فقال : يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة ، وأن بقاءهم فساد للأمة . فقالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء[٤] .

فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويغضب الله لهم وأهل السماء.

---

(١) محجمة : كأس صغير .

(٢) يريقه : يسكبه .

(٣) كنز العمال : خبر ٣٩٩٥٢ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : يراجع ص٢٤١ ، كتاب الانتفاضات الشيعية التاريخية - ص٢٨١ .

ويقول معاوية إني رأيت في قتلهم صلاح ، وهـل يعقـل أن الله يغضبُ لأناس في قتلهم صلاح الأمة ، فيـرى النبـي غضـب الله وأهل السماء لقتلهم ، ويرى معاوية صـلاح الأمـة وبـالطبع ليست هي الأمة الإسلامية ، بل هي الأمة السفيانية الأمويـة التـي بها صلاح ملكه وسلطانه ، وإلا مثل حجر وأصحابه ببقائهم صلاح الأمة وبموتهم قتلاً وظلماً فساداً للأمة وخسارة لا عوض لها .

فأراد رسول الله أن يبين مكانة حجر والذين ساروا معه علـى نهجه ودربه ، درب الولاء لعلي بن أبي طالب فيقـول إن الله وأهـل السماء يغضبون لأناس يُقتلون بأرض عذراء ، وما غضب الله وأهل السماء لهم إلا كاشفاً عنهم بأنهم أولياء ، وأن أولياء الله الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهؤلاء يغضب الله وملائكته ورسـله لهم إن اعتدي عليهم ، فمكانةُ حجر عند رسول الله هي مكانته عند الله ومكانته عند الله هي مكانته عند رسول الله وما يغضب الله له يغضب رسوله له وما يُغضب رسول الله يُغضب الله . ولأن المؤدى واحد في رضا الله ورسوله وغضب الله ورسوله. وخروج حجر وأصحابه ليس بشيء من الفساد حتى يصح ما قال معاوية بقتلهم صلاح الأمة ، بـل خروجهم كما قال النبي أفضل الجهاد جهاد الظالمين وبالأخص قـول النبي نراه قد ارتكز في السلطان الجائر .

حيث قال صلى الله عليه وآله أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍ عند سـلطانٍ جائر . ويقول الإمام علي عليه السلام نقلاً عن النبي (صلى الله عليه وآلـه) الجهاد

على أربع شعب : على الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر والصّدق في المواطن وشنآن الفاسقين ، فمن أمر بـالمعروف شـدّ ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنـافق ، ومـن صدق في المواطن قضى الّذي عليه ، ومن شنأ الفاسقين وغضـب لله عزّ وجلّ غضب الله له[١] . وهذا ما أراد بيانه النبـي أن مـن سعى لجهاد الفاسقين لمنع فسقهم عن الآخرين وإيقاف ظلمهم عـن المظلومين . وما قام به حجر من الجهاد تطبيق للشعب الأربعـة : فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وصـدق فـي المـواطن ، وتحدى الفاسقين ، بغضب عارمٍ لله وموقف صارم في سبيل الله .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٢ ـ ص٩٠ / شرح نهج البلاغة : ج١٨ ـ ص١٤٢ ، وقـد وجـد هناك تفاوت في الخبر كما جاء في كنز العمال : ج١ ـ خبر : ١٣٨٨

الفصل الرابع

مكانته عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال :

يا أهل الكوفة ، سيقتل منكم سبعة نفر خياركم ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، منهم حجر بن الأدبر وأصحابه يقتلهم معاوية بعذراء من دمشق وكلهم من أهل الكوفة .

ومما يزيد حجر وأصحابه فخرا وعزا أن الإمام علي (عليه السلام) يشبهُ حجر بالنبي الحبشي الذي قتل أصحابهُ المشركون بالأخدود وكان قتلهم شر قتل وما كان هناك سبب سوى أنهم امنوا بنبيهم واتبعوه وساروا على هداه وخطاه ، وقد اختلفت الروايات في ذكر قصة أصحاب الأخدود حيث ذكر في المجمع برواية سعيد بن جبير قال : لما انهزم أهل إسفندهان[١] من بعد أن أجبرهم ملكهم على طاعته فانهزموا منه . وذلك : أن ملكا لهم سكر فوقع على ابنته فلما

(١) أهل إسفندهان هم قوم : كان لهم كتاب يعبدون الله به فقد روي أن سعيد بن جبير كان يروي قصتهم فقال له عمر بن الخطاب أنهم قوم مجوس مالهم من كتاب فقال الإمام علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب رُفع.

أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيها قالت : نجمع أهل مملكتك[١] وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتبعوه فخد[٢] لهم أخدودا في الأرض واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ذلك قذفه في النار ومن أجابه خلى سبيله . وقد روى كذلك في الدر المنثور عند عبد بن حميد عن علي عليه السلام بإسناده عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال أرسل علي عليه السلام إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم :

فقال إن الله بعث رجلا حبشياً نبيا وهم حبشيه فكذبوه . فقاتلهم فقتلوا أصحابه فأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له حيزا[٣] ، ثم ملوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا : من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار فجعل أصحابه يتهافتون على النار، فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت وهابت ورقت على ابنها فنادى الصبي : لا تهابي وارميني ونفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل ، فرمت بنفسها في النار وصبيها ، وكان ممن تكلم في المهد ، وإن لحديث أصحاب الأخدود وقائع متعددة وقعت بالحبشة واليمن والآية تشير إلى وقوعها ، وهناك روايات تقص القصة مع السكوت عن محل وقوعها . وإجمالاً أن أصحاب الأخدود ضحوا بأنفسهم من أجل

(١) هم أهل إسفندهان .
(٢) خد : أي حفر .
(٣) أي شق في الأرض .

مبادئهم ونبيهم وثباتهم على الحق والفضيلة في سبيل الله ، مما جعل الإمام علي عليه السلام يشبههم بأصحاب الأخدود وجعل لحجر منهم مكانة النبي الذي اتبعه أصحابه وماتوا من أجل صاحبهم وهو نبيهم . وكذلك حجر وأصحابه ماتوا من أجل ولائهم لإمامهم علي بن أبي طالب لأنهم يعلمون أن رضاه رضى رسول الله ورضى رسول الله رضى الله .

ويشهد لهم الإمام علي عليه السلام أنهم خيار أهل الكوفة بكل ما كان في الكوفة من صالحين فهم قليل وإن كثروا وقليل من عبادي الشكور[1] .

(١) سورة سبأ : الآية ١٣ .

الفصل الخامس
مكانته عند الناس

ولما حج معاوية دخل على عائشة فقالت له: يا معاويه ، قتلت حجر بن الأدبر قال : أقتل حجرا ، أحب إلي من أن أقتل معه مائة ألف.

وفي حديث :

أنه استأذن عليها فأبت أن تأذن له ، فلم يزل حتى أذنت له ، فلما دخل عليها قالت : أنت الذي قتلت حجرا ! قال : لم يكن عندي أحد ينهاني .

وإجمالاً فإن معاوية لم يكن بحاجة إلى أحد ينهاه عن فعلته المشينة ، وإنما هي تغطية أبداها إلى عائشة ، وإلا إصراره على قتل حجر وإزالة شخصه من الوجود ، أن من الأمور المهمة بالنسبة إلى معاوية ، ولو افترضنا أن هناك من ينهى معاويه عن قتل حجر فهل كان ينتهي عن قتله ؟ لا أظن ، وقد أبنت الحادثة بل الجريمة التي قام بها معاوية مقدار حقده على الإمام

علي بن أبي طالب وأصحابه الذين أخلصوا له الولاء وفي طليعتهم حجر رضوان الله تعالى عليه(١) .

ولما بلغ عبدا لله بن عمر قتلُ معاوية حُجَراً قام من مجلسه مولّياً يبكي .

ولما حجّ معاوية استأذن على أم المؤمنين عائشة فقالت له : أقتلت حُجْراً ! فقال: وجدت في قتله صلاح الناس ، وخفت من فسادهم(٢) .

وقيل : إنّ معاوية ندم كل الندم على قتلهم ، وكان قتلهم في سنة إحدى وخمسين(٣) .

وروى ابن عوف ، عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق ، فنُعي إليه حُجْر ، فأطلق حبوته وقام ، وقد غلبه النحيب(٤) .

ولقد صنع الإصرار والعزم لحجر رضوان الله عليه المكانة في قلوب الناس ، لأن الإصرار يكشف عن إرادة والإرادة تكشف عن الإيمان والإيمان يكتشف عن المعرفة ، ولحجر رضوان الله عليه إيمانٌ بولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مما دفع إلى نيل الشهادة والفوز برضوان الله تعالى وإلا كان بإمكانه الخلاص من الموت بالبراءة من الإمام علي ولكن الإيمان الذي يحمله يأبى عليه مثل ذلك ويمنعه من البراءة .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٤١ .

(٢) البداية والنهاية : ٥٥/٨ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق : ٨٩/٤ .

(٤) البداية والنهاية ٥٥/٨ .

الباب الثالث

سيوتة

الفصل الأول
صلابة إيمانه

قال ابن سيرين : لو مال لمال أهل الكوفة معه ، ولكن كان رجلاً ورعاً فأبى زياد أن تقلع عنه الخيل والرجال ، حتى اصطلحا[١] أن يقيده بسلسلة ، ويرسله في ثلاثين من أصحابه إلى معاويه ؛ فلما خرج أتبعه زياد بريداً سريعاً إلى معاوية ، إن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة حاجة فاكفني حجرا ، وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى ألهفه عليه[٢] ، فقدم فدخل عليه فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : أمير المؤمنين أنا ! قال : نعم ثلاثا . فأمر بحجر وبخمسة عشر رجلا من أصحابه قد كتب زياد فيهم وسماهم ، وأخرج حجرا وأصحابه الخمسة عشر ، وأمر بضرب عنقهم. فقال حجر للذي أمر بقتله : دعني فلأصل ركعتين . قال : صلِّ . قال : فصلى ركعتين خفيفتين ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : لولا أن

(١) اصطلحا : أي اتفقا زياد ومن كان معه في الراي على أن لا يترك حجر وأصحابه حتى يقيد بالسلاسل.

(٢) عليه : بمعنى يشجعه على قتله .

تقولوا جزع من القتل لأحببت أن تكون ركعتان أنفس ما كانتا . وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعي شيئا . ثم أخذ برده فتحزم به ، ثم قال لمن يليه من قومه : لا تحلوا قيودي ، ولا تغسلوا عني الدم ، فإني أجتمع أنا ومعاوية غدا على المحجة[١] .

وفيما نقله ابن سيرين لفيه نظر وتأمل فهو يذكر ما فيه خلاف لعقيدة حجر ، وقد نسب ابن سيرين مالا يليق بحجر ، وأراد أن يشوه موقف حجر الإيماني الولائي بأن نسب لحجر هذا السلام على معاوية ومناديا بإمرة المؤمنين حيث قول حجر رضوان الله عليه بإمرة معاوية وقوله له إذ دخل عليه قائلا : السلام عليك يا أمير المؤمنين مما يدل على تناقض في الخبر ، ففي آخره قول لحجر فإني أجتمع مع معاوية غداً على المحجة[٢] ، فلا يمكن أن يخاطبه أو يسلم عليه بأمرة المؤمنين وهو غير معترف به ، ويعتقد اعتقاد كامل بعدم شرعية خلافة معاوية ، فكيف يساوي بينه وبين إمامه وأميره الشرعي الإمام علي بن أبي طالب . كذلك ليس الموقف موقف تقية حتى يستوجب من حجر المراعاة والمسالمة .

ومما يدل على عدم صحته ذلك الخبر الذي ينقله ابن سيرين ففيه اضطراب الدلالة . واضطراب السياق فحيث إننا نجد في مصدر آخر أن حجر يصرخ في وجه معاوية قائلاً : اعلم يا معاوية إني على بيعتي هذه لا أقيلها ولا أزيلها ، أما بالنسبة إلى صلاته فقد صلاها ،

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٣٨ .

(٢) المحجة أي : المحاجة وهي المسائلة والحساب يوم القيامة .

ومما يدل أيضا على عدم صحة خبر ابن سيرين ، ما ورد عن حجر[١] ، حيث قال : لا تحلوا قيدي ولا تغسلوا عني الدم ، فاني أجتمع أنا ومعاوية غداً على المحجة . ونلاحظ ان حجر رضوان الله تعالى عليه ، قد كرر أكثر من مرة لفظة معاوية من دون أن يحملها أي لقب أو كناية ، وهذا مما يكشف عن استصغار حجر واحتقاره لمعاوية ، وإلا رجلٌ صلب الإيمان كحجر لا يساوم في العقيدة الحقه ومن أجل ماذا يساوم ؟! ، أو من أجل ماذا يتخضع لمعاوية ويُبدي الطاعة له والخضوع ، أمن أجل أن يعفو عنه ، فلم يكن نادما حتى يرجوا التحنن من معاوية ، ولكن ما ذكره ابن سيرين يريد ان يصور لنا حجر بحالة من الضعف والانكسار أمام معاوية ، وهذا محال بالنسبة لحجر رضوان الله تعالى عليه .

[٢]لقد وقف حجر بن عدي مجسدا معنى الحرية والفداء لا معنى البئس والخذلان أراد بقوله وكلمته حسم الأمور الفوضوية ، والفتى نصفه لسانه ونصفه الأخر طيلسانه[٣] ، فكان لابد لمثله ان يتكلم ويسحق الطغاة الجبابرة بكلامه وأفعاله فقد أراد إظهار الحق على خصمهِ الذي ما عرفِ حق أهل البيت ، وقد عرّفهم القرآن وشهد لهم بالطهارة والتطهير في قولهِ : ﴿ **إنما يريدُ الله ليذهب عنكم**

(١) تمام الخبر منقول عن ابن سيرين .

(٢) الطبري : ج٥ ــ ص٢٥٤ .

(٣) طيلسانه : أي شكله وافعاله .

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾[١] . فوقف وقال كلمتة التي لابد من قولها . وقد جاءت منه رضوان الله تعالى عليه بمحلها ، حيث قال مخاطبا المغيرة لما بدأ بذم الإمام أمير المؤمنين ﷺ ، (بل اياكم قد ذم الله ولعن) ، ثم قال : إن الله عز وجل يقول كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل ، وأن من تزكون وتمدحون أولى بالذم .

وقال حجر بن عدي : سمعت عليّ بن أبي طالب ﵇ يقول:

الوضوء نصف الإيمان .

وفي رواية : الطهور نصف الإيمان[٢] .

يتعرض هنا حجر رضوان الله تعالى عليه لبيان أهمية الوضوء وتأثيره على إيمان العبد المسلم ، فحيث أن العبد المسلم الذي قلبه عامرٌ بالإيمان يحافظ على الوضوء ، ويبدي فيه اهتمام بالغ وكبير ، لأن الوضوء مفتاح الصلاة ومفتاح لقراءة القرآن والإطلاع عليه ، إلا أنه يبقى هناك سؤال وهو ما علاقة الوضوء بالإيمان ، والجواب هو : العلاقة بالله وبكل عمل يقرب إلى الله ويدفعُ إلى المعرفة فان معرفة المومن بالوضوء تدفعه للاهتمام به ، والاهتمام يدفع إلى التطبيق والتطبيق كاشفٌ عن الإيمان ، ولكن قوله نصف الإيمان لأن الوضوء مقدمة لكثير من العبادات التي يؤمن ويتمسك بها العبد المسلم .

وفي حديث اخر :

---

(١) سورة الأحزاب : الاية ٣٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٢٦ .

أن عائشة بلغها الخبر ، فبعثت عبد الـرحمن بـن الحـارث ابن هشام المخزومي إلى معاوية ، تسأله أن يخلـي سـبيل حجـر وأصحابه . فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي : يا أمير المـومنين ، جُذاذها جُذاذها لا تعنّ بعد العام أبْراً[١] . فقال معاوية : لا احـب ان أراهم ، ولكن اعرضوا علي كتاب زياد ، فقرئ عليه الكتاب ، وجاء الشهود فشهدوا . فقال معاوية : أخرجوهم إلى عذراء فاقتلوهم هناك . قال: فحملوهم إلى عذراء . فقال حجر: ما هذه القرية؟ قالوا : عذراء. قال: الحمد لله ، أما والله إني لأول مسلم نبحه كلابها في سـبيل الله ، ثم أتي إليها اليوم مصفوداً . ما برح حجر أن ينزل بـأرض عـذراء حتى وبدأ يذكر الله ويحمده على ما نزل به مـن القضـاء والقـدر ، وكلامه هذا يكشف عن إحساسه بالفوز إذ يقتل بأرض كان هـو أول من جاهد لنشر الإسلام فيها .

وفيما استعرضته عائشة وبادرت به من إخلاء سبيل حجـر وأصحابه لم تكن له جدوى إذ أن مصالح معاوية وملكه فوق كـل الاعتبارات . إلا إن هذا الموقف يكشف لنا عن صفحة رائعة مـن صفحات حجر وبيانٌ جديد عن أقوالـه التـي منهـا تطلـعُ علـى جهاده وصلابة إيمانه بربـه ونبيـه وإمامـه ، واصـرارا علـى مواصلة الجهاد الذي كان منه فتح بـلاد الشـام وفـتح وتحريـر منطقة عذراء التي كان أول فاتح لها هو حجر وأصحابه .

(١) الجذاذ : المقطع . والأبْر : إصلاح النخل . اللسان : جذ ، ابر

ويحدث حجر بن عدي قال: سمعت شراحيل بن مرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أبشر يا علي حياتك وموتك معي[١] .

وحفظهُ لحديث النبي الذي سمعهُ من شراحيل بن مرة ، في حق علي بن أبي طالب يعكس ولائه للنبي ولأهل بيته ، والبشرى نراها في نفس حجر بن عدي ، فها هو يبشر بما يُبشر به النبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) مما يكشف عن اطمئنانه للرجل الذي هو يتـولاه . فهـو مطمئن مستبشر لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يُخبر أن حياة علي بن أبي طالب هي حياة النبي ومماتهُ هي ممات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهذه الملازمة لحياة النبي (صلى الله عليه وآله) لهي خيرُ دليل على صحة منهجية واستقامة حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٣٥ .

الفصل الثاني
كراماته

حجر بن عدي رضي الله عنه المدفون هو وأصحابه في قريه عذراء من قرى الشام ، حينما قتلوا في خلافة معاوية قال العارف محمد الحفني في حاشيته على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء كان حجر يحرص على الوضوء والطهارة جدا ، ولما حبس احتلم[١] فطلب ماء من السجان ليغتسل به ، فقال له : ليس عندي إلا مقدار شربك ، فقال له ادفعه لي لأتطهر به ، فقال له : لا أفعل لئلا نموت عطشا فيقتلني من أمرني بسجنك ، فدعا الله تعالى بنزول المطر ، فنزل وتطهر ، فقال له المسجونون معه : ادع الله ليفرج عنا وإياك، فقال : لا أحب إلا ما أنا فيه لكونه بإرادة ربي وقدرته ، وإنما دعوته للمطر لتعلقه بالعبادة . قال الشيخ الحفني : وهكذا شأن المقربين[٢]

(١) احتلم : يعني حدث له جنابة .

(٢) جامع كرامات الأولياء : ج١ - ص١٣١

بل أقول هذا شأن الموالين لعلي بن ابي طالب عليه فلو اطلع الناس على ما أعد الله للخلص والموالين من عباده ، لاستغلوا ما سمعوا من هذه الكرامات . والسبب ليست هي المحبة فحسب إنما هي الطاعة لله فطاعة الإمام علي بن أبي طالب لله توفق طاعة الثقلين بدليل حديث النبي المشهور للإمام علي بن أبي طالب في يوم الخندق قال : (ضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين) ، والضربة كما تعلم عزيزي القارئ عمل واحد فكيف إذا كان عدة أعمال ، بل كيف إذا كان سهر وعمل بالليل والنهار .

وما أطاع به علي بن أبي طالب ربه أطاع به حجر وأصحابه ، والسائر على خطى إنسان يحذو حذوه ويتبع منهجه ويحصل على نفس نتيجته فهذا هو الإمام علي بن أبى طالب بدأت حياته بمسجد وهي الكعبة ولم يولد قبله ولا بعده مخلوق من خلق الله تعالى ، ولم نكن هذه المكانة لأحد ، ولا حتى لأنبياء الله في أرضه ، فقد أعطاها الله للإمام علي ، وأعطى حجرا كذلك لأن المنهج ثابت والطاعة متوازية متساوية النتائج . عند الله لمن أطاعه ، حتى يصل إلى قوله تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾[1] ويكون له من قوله تعالى:(عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون)[2].

(١) سورة يس : الآية ٨٢ .

(٢) حديث قدسي .

الفصل الثالث

جهاده الظالمين

ومما لا يخفى ذكره بيان حقيقة موقفه الجهادي ، اذ لم يذكر التاريخ منه إلا الشيء البسيط ، بينما نرى من خلال البحث والتنقيب أن للصحابي حجر بن عدي مواقفَ كثيرة مشرفة في الجهاد والنصرة للإسلام ، مما تكشف تلك المواقف عن ملازمته للحق ونصرتهِ للدين . وقد حقق الكثير ، منها ما ذكره صاحب كتاب أسد الغابة حيث قال عنه :

وفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخوه هانئ ، وشهد القادسية ، وكان من فضلاء الصحابة ، وكان على كندة بصفين ، وعلى الميسرة يوم النّهروان، وشهد الجمل أيضاً مع الإمام علي عليه السلام ، وكان من أعيان أصحابه . ولما ولي زياد العراق ، وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر ، خلعه

خجْر [١] وخلع معاوية أيضا ، وتابعه جماعة من شيعة علي عليه السلام [٢] ، وحصبه [٣] يوما في تأخير الصلاة هو وأصحابه ؛ فكتب فيه زياد إلى معاوية ، فأمره أن يبعث به وبأصحابه إليه ، فبعث بهم مع وائل بن حجر الحضرمي ، ومعه جماعة ، فلما أشرف على مرج عذراء ، قال : إني لأول المسلمين كبّر في نواحيها [٤]، فأنزل هو وأصحابه عذراء ، وهي قرية عند دمشق .

كان حجر بن عديّ شابا في الجاهلية وقد من الله عليه بالإسلام [٥] . وكان من أصحاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه الجمل وصفّين.

ومن هنا نلاحظ أولَ انطلاقة لحجر رضوان الله تعالى عليه في الجهاد، لما قدم زياد بن أبي سفيان واليا على الكوفة دعا بحجر بن عديّ فقال: تعلم أني أعرفك ، وقد كنت أنا وإيّاك على ما قد علمت ، يعني من حُبّ عليّ بن أبي طالب ،وإنّه قد

(١) أي ن الدي خلعة أولا هو زياد ثم حلع معاوية وهذا الخلع من حجر إنما هو انحو لاتضاح صورة الموقف عند حجر بالنسبة لزياد ومعاوية فيستحقان الخلع من الدين والعقيدة ن من الخلافة والامارة .

(٢) واجتمع مع حجر ثلاث الاف من كان يوالي ويشايع الإمام علي عليه السلام .

(٣) اي ان حجرا ضرب زياداً بالحصى فشج رأسه لما سمع منه تستم الإمام علي مع تاخيره للصلاة .

(٤) ومن المؤسف ان الصحابي حجر بن عدي هو أول من فتح مرج عذرى ــ على ما ذكره ابن سعد في الطبقات : ج٦ ــ ص٢٤٢ .

(٥) كان مقدار العطاء الذي يأخذهُ من بيت المال يقدر بالفين وخمسمائة .

جاء غير ذلك ، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله ، املك عليك لسانك وليسعك منزلك ، وهذا سريري فهو مجلسك ، وحوائجك مقضيّة لديّ فاكفني نفسك فاني أعرف عجلتك ، فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك ، وإيّاك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك فإنك لو هُنت عليّ أو استخففتُ بحقّك لم أخصك بهذا من نفسي . فقال حجر : قد فهمتُ . ثمّ انصرف إلى منزله ، فأتاه إخوانه من الشّيعة فقالوا : ما قال لك الأمير ؟ قال : قال لي كذا وكذا . قالوا: ما نَصح لك . فأقام وفيه بعض الاعتراض . وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون : إنّك شيخنا وأحقّ الناس بإنكار هذا الأمر. وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حُريث ، وهو يومئذ خليفة زياد على الكوفة وزياد بالبصرة : أبا عبد الرحمن ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمتَ ؟ فقال للرسول : تُنكرون ما أنتم فيه . إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حُريث بذلك إلى زياد ، وكتب إليه : إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل[١] . فأغذّ زياد السير حتى قدم الكوفة فأرسل إلى عديّ ابن حاتم وجرير بن عبد الله البجلي وخالد بن عُرْفطة العُذْري حليف بني زُهرة وإلى عدّة من اشراف

(١) الطبقات الكبرى : ج٦ ــ ص٢٤٢ .

أهل الكوفة فأرسلهم إلى حجر بن عديّ ليَعْذر إليه وينهاه عن هذه الجماعة وأن يكفّ لسانه عمّا يتكلّم به . فأتوه فلم يجبهم إلى شيء ولم يكلّم أحداً منهم وجعل يقول : يا غلام اعلف البكر . قال وبكر في ناحية الدار ، فقال له عديّ بن حاتم : أمجنون أنت؟ أكلّمك بما أكلّمك به وأنت تقول يا غلام اعلف البكر ؟ فقال عديّ لأصحابه : ما كنت أظنّ هذا البائس بلغ به الضعف كلّ ما أرى . فنهض القومُ عنه وأتوا زياداً فأخبروه ببعض وخزنوا بعضا ، وحسّنوا أمره ، وسألوا زياداً الرفق به فقال : لستُ إذا لأبي سفيان . فأرسل إليه الشّرط والبُخاريّة فقاتلهم بمن معه ، ثمّ انفضّوا عنه وأُتي به زياد وبأصحابه فقال له: ويلك ما لك ؟ فقال : إني على بيعتي لمعاوية لا أقيلها ولا أستقيلها[١] .

وهذا خطأ كبير من ابن سعد !! إذ لم يلتفت إلى هذه الكلمة وهي كلمة معاوية . فأقول إذا كان حجر بن عديّ على بيعته لمعاوية فلماذا قتله؟ !!! ، أو أنه يتهمه بجرم يتوجب عليه من خلاله القتل ، إلا أنه أراد ذلك ليبين إلى الباحث والقارى ضعف شخصية حجر ، وجبنه ، إذ استسلم إلى الأمر وقال أني على بيعتي لمعاوية ولم يقل حجر ذلك !! بل قال أنا على بيعتي لعلي

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج٦ ـ ص٢٤٢ .

ابن أبي طالب لا أقيلها ولا أستقيلها . ثم ذكر ابن سعد أن زياداً جمع سبعين من وجوه الكوفة فشهدوا على حجر وأصحابه .

ولم تكن الشهود قد أثرت على حجر بالضعف ، أو انهم سلبته مكانته العالية في الجهاد في سبيل الله ، لذلك نرى قول النبي صلى الله عليه وآله أفضلُ الجهاد كلمة حق عند إمام جائر . وقد انطلق حجر رضوان الله تعالى عليه من هذا المبدأ ، وبدا الجهاد من محطته الأولى ، وأثبت للمسلمين اجمع أنه على حق . ولم يكن على باطل ، بل الباطل كله هو معاوية وزياد ابن أبيه وصحبهم . وحتى الشهود الذين شهدوا على حجر ومن كان معه ممن والى وناصر الإمام علي عليه السلام لم يوقفوهم عن الجهاد ونصرة الحق ، بل شهادتهم تثبت أنهم مظلومون لأنه لو يتفكر أحدنا يا ترى بماذا شهد الشهود على حجر وأصحابه ؟!! بالتأكيد سيكون الجواب من كل منصف عارف بالحق وأهله أن الشهود شهدوا على حجر وأصحابه ، بأنهم يوالون الإمام علي بن أبي طالب ويدافعون عنه وعن حقوقه الشرعية من الله والرسول . وأن الذي هم عليه لهو الحق الأكمل من دون زيغٍ أو ريب . ومن مواقفه الجهادية انه ، بعد ما وفد على النبي وحسُن إسلامه ، كان في مقدمة الجيش الذي غزا الشام، وكان ممن افتتح مرج عذراء وأول من كبر في نواحيها مع المسلمين بتكبيرات الفتح والنصر (١) .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر / ترجمة حجر بن عدي ـ ص ٢٣٥

وكان يحمل دافعاً قوياً للجهاد في سبيل الله فكان ممتثلا اوامر رسول الله حتى بعد وفاة رسول الله حيث شهد صفين والجمل مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يحارب بلهفة وشوق في سبيل الله ، إلى أن أدرك حرب القادسية وشارك فيها وكان له من العطاء أي من بيت المال ألفين وخمسمائة ، إلا أن ذلك لم يعُد ينفع حجر أو أولاده في شيء طالما صمم معاوية على قتله وقتل أولاده صبراً ، وذكر ابن عساكر في تاريخه إن مصعب بن الزبير قتل أبناء حجر وهما عبد الله وعبد الرحمن ، للسبب الذي قتل من أجله أباهما حجراً .

وكان هناك سبب ساعد على قتل حجر وأصحابه رضوان الله عليهم هو قدوم ابن زياد إلى الكوفة من بعد أن كان واليا على البصرة ، وبالوقت الذي كان فيه حجر وأصحابه وجمع من أهل الكوفة الخلص للإمام علي بن أبي طالب ، وهذا ما خلفهُ الإمام علي من تربية وإعداد لنفوسٍ كثيرة من الصالحين لم يكن لأحدهم الصبر على الطعن بإمامة وشخصية الإمام علي بن أبي طالب بعد إن عرفه الناس إماما عادلا في الناس وحاكما صالحا نافعا طيلة حياته وخلافته[١] .

وفي حديث ابن سيرين قال :

(١) تاريخ مدينة دمشق : ج١٧ ــ ص٢٣٥

لما قدم زياد الكوفة لم يكن له همّ إلا حجرا ، وأصحابه ، فتكلم يوما زياد وهو على المنبر فقال : إن من حق أمير المؤمنين ، إن من حق أمير المؤمنين ؛ مرارا . فقال : كذبت ليس كذلك ، فسكت زياد ونظر إليه ، ثم عاد في كلامه فقال : إن من حق أمير المؤمنين ، إن من حق أمير المؤمنين. مرارا . فقال حجر : كذبت ليس كذلك ، فسكت زياد ونظر إليه ، ثم عاد في كلامه فقال : إن من حق أمير المؤمنين ، إن من حق أمير المؤمنين . مرارا. نحوا من كلامه . فأخذ حجر كفا من حصى فحصبه وقال : كذبت ، عليك لعنة الله . قال : فانحدر زياد من المنبر فصلى ، ثم دخل الدار ، وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخيل والرجال ، أجب ، قال حجر : إني والله ما أنا بالذي يخاف ، ولا أتيه أخاف على نفسي[1] .

قال أبو معشر :

فاعترف به معاوية وأمّره على العراقين يعني زيادا فلما قدم الكوفة ، دعا حجر بن الأدبر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، كيف تعلم حبي لعلي؟ قال : شديدا . قال : فإن ذلك قد انسلخ أجمع فصار بغضاً ، فلا تكلمني بشيء أكرهه ، فإني أحذرك . فكان إذا جاء .. إبان العطاء قال حجر لزياد : أخرج العطاء فقد جاء إبّانه ، فكان يخرجه ، وكان لا ينكر حجر من زياد شيئا

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ج١٧ ــ ص٢٣٧

الا راه عليه ، فخرج زياد إلى البصرة واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث ، فصنع عمرو شيئا كرهه حجر ، فناداه وهو على المنبر ، فرد عليه ما صنعه ، وحصبه هو وأصحابه. قال : فابرد عمرو مكانه بريدا إلى زياد، وكتب إليه بما صنع حجر ؛ فلما قدم البريد على زياد ، ندم عمرو بن حريث وخشي أن يكون من سطواته ما يكره ، وخرج زياد من البصرة إلى الكوفة ، فلتقاه عمرو بن حريث في بعض الطريق فقال : إنه لم يك شيء يكرهه ، وجعل يسكّنه ، فقال زياد : كلا والذي نفسي بيده ، حتى اتي الكوفة فأنظر ماذا أصنع ،فلما قدم الكوفة سأل عمرا عن البيّنة ، وسأل أهل الكوفة ، فشهد شريح[١] في رجال معه على أنه حصب عمرا وردّ عليه ، فاجتمع حجر وثلاثة الاف من اهل الكوفة فلبسوا السلاح ، وجلسوا في المسجد ، فخطب زياد الناس وقال : يا أهل الكوفة ، ليقمِ كل رجل منكم إلى سفيهه فليأخذه ، فجعل الرجل يأتي ابن أخيه وابن عمه وقريبه فيقول : قم يا فلان ، قم يا فلان ، حتى بقي حجر في ثلاثين رجلا . فدعاه زياد فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قد نهيتك

---

(١) تاريخ الطبري : ٥/٢٧٠ .

أن تكلمني ، وإن لك عهد الله ألا تُراب بشيء حتى [illegible] [illegible]
المؤمنين فتكلمه ، فرضي بذلك حجر وخرج الى معوية[1] .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٣٦،٢٣٧ ، وكذلك هو كلام غير صحيح [illegible]
ابو معشر اذ ينسب إلى حجر الرضا بالخروج الى معاوية [illegible]
كن حجر رضا كلام معاوية والخروج اليه [illegible] !!!

الفصل الرابع

مظلوميته

قال مروان بن الحكم :

دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت : يا معاوية ، قتلت حجراً وأصحابه ، وفعلت الذي فعلت ، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً فيقتلك ! فقال : لا ، إني في بيت أمان ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح[1] . قال : فدعيني وحجرا حتى نلتقي عند ربنا عزّ وجلّ[2] .

ويشهدُ مروان على حديث واعتراف معاوية لقتله حجراً ، ويلزم نفسهُ إدانة كبيرة وجريمة عظيمة ، وينقل لعائشة حديث

(١) صالح : بمعنى أصلح الأمر أمر قتل حجر وأصحابه .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٤٢

الفتك إنه يتعارض مع الإيمان . أقول وهل قتل الصلحاء الاولياء لا يتعارض مع الإيمان ؟! أم أن معاوية ومروان وسخله يزيد عرفوا الإيمان وجهله غيرهم من المؤمنين أمثال حجر وأصحابه ويؤكد سفيان الثوري ما قاله معاوية واعترف به من أنه قاتل سفاح يدري ما يفعل مصرٌ على ما فعل .

قال سفيان الثوري :

قال معاوية : ما قتلت احدا إلا وأنا أعلم فيم قتلته ، وما أردت به ، إلا حجر بن عدي . فإني لا أعرف فيم قتلته(١) .

الاعتراف حجة لإدانة القاتل ، وإن كان القاتل يدعي الصلاحية في التسلط والقتل . وهنا نحتاج إلى طرح سؤال هل لمثل معاوية صلاحيةٌ في القتل الشرعي الذي عبر عنه بقوله (ما قتلت أحدا إلا وأنا أعلم فيم قتلته. وما أردت به أي بقتله) وهذا القول يكشف عن إعطائه لنفسه شرعية وصلاحية للقتل وما يسميه بعرفه وشرعه صلاحية للقتل وسلطة للتصرف في أحوال وأموال وأرواح العباد حتى يصل إلى هذا الحد من العلم والعزم اللذين يكشفان عن إصرار وترصد للقيام بجريمة القتل ونحن نعلم إن الخارج لحرب خليفة النبي يقتل بعد ثبوت وقيام البينة . ومن هنا نصل إلى قناعة تامة أن لمثل معاوية يجب أن يُقتل لا أن يقتل الأبرياء والصحابة والصلحاء .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص ٢٤٢

وعندما يصل الإنسان إلى لحظات الموت تظهر الحقائق الدفينة والأمراض الخبيثة عند ضغطة وعصرة الموت ، فينقل أبو بكر بن عياش :

قال دخل عبد الله بن يزيد بن أسد على معاوية وهو في مرضه الذي مات فيه ، فرأى منه جزعا فقال : ما يجزعك يا أمير المؤمنين إن مت ؟ قال: الجنة . وإن عشت ، فقد علم الله حاجة الناس إليك . قال : رحم الله أباك إن كان لناصحا ، نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجراً ، ثم عاده عبد الله بن يزيد فعاد معاوية مثل ذلك القول[1] .

ويتكرر هذا الاعتراف من معاوية وما هو إلا دليل على تأنيب الضمير والندم على فعل الجريمة وها هو يعترف ويشعر بالندم والحسرة على فوات الجنة وخسارة الابتعاد عنها . وما ينفع الندم وبما تفيد الحسرة وقد تم الاجتراء على الله بانتهاك حدود الله ، وليس بقتل حجر فحسب بل بقتل سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام السبط الشهيد الحسن المجتبى ابن الإمام علي بن أبي طالب وأول وليد لسيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين .

وهنا نود التساؤل لماذا أرسل معاوية إلى ملك الروم مصراً على الحصول لنوع من أنواع السموم الفتاكة السريعة المفعول ؟! أليس لأجل قتل الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهما

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٤٢ .

السلام ، وقد صرح بذلك أغلب المؤرخين وذكرت اغلب كتب التاريخ أن معاوية هو الذي سم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب . وفيما جاء به التاريخ عبارة معاوية ورسالته إلى عاهل الروم قائلا له إني اريدُ منك سما فتاكا للحسن بن علي بن أبي طالب فرد ملك الروم عليه قائلا إن ديننا يمنعنا أن نقتل من لم يقاتلنا وهذا النصراني كان له من دينه رادعا يمنعه من قتل مسالما لم يعلن عليه حربا أو قتالا ، وفي قبال هذا الموقف يثبت لنا معاوية أنه لا دين له . ويحتال على ملك الروم بقوله إنني أريدُ السم إلى ابن من خرج بتهامة[1] وقد خرج اليوم يطالب بملك ابيه وجده وهو بهذا خطر عليك وعلينا ، فعندها أرسل إليه سماً القليل منه يقتلُ سبعين جملا ، واختيارُ مثل هكذا نوع لا شك أنه كاشفٌ عن حق دفين وقد ذكرت بعض المصادر وأكدت ذلك ومنها[2] .

(١) أي الجزيرة العربية

(٢) شرح ابن أبي الحديد : ج٤ ص١٧ ، تاريخ الدول الإسلامية ج١ ص٥٣ ، تذكرة الخواص : ص٢٢٣ ، الاستيعاب ج١ ـ ص٣٧٤ ، النصائح الكافية : ص٦٣ ، تاريخ ابن الفداء ج١ ـ ص١٩٤، مروج الذهب ج٢ ص٣٠٣

الفصل الخامس
حرصه على حقوق المسلمين

كان حجر بن عدي عند زياد وهو يومئذ على الكوفة ، إذ جاءه قوم قد قتل منهم رجل ، فجاء أولياء القاتل وأولياء المقتول فقالوا : هذا قتل صاحبنا . فقال أولياء القاتل : صدقوا ، ولكن هذا نبطي[1] وصاحبنا عربي ، ولا يقتل عربي بنبطي . فقال زياد : صدقتم ، ولكن أعطوهم الدية . فقالوا : لا حاجة لنا في الدية ، إنا كنا نرى أن الناس فيه سواء . فقام حجر بن عدي فقال : نعطيك كتاب الله (عز وجل) ، أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنا حجر ، لتقتلنه أو لأضربن بسيفي حتى أموت والإسلام عزيز . قال : فوالله ما برح حتى وضع السكين على حلقه[2] .

---

(١) نبطي ! بمعنى أجنبي عن البلاد العربية .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ص ٢٤٠ .

وفي مثل هكذا مواقف يثبت لنا حجر حرصه على حقوق المسلمين . وذلك حينما رضي زياد برفضهم الدية وقبل بقولهم ان الناس سواسية فبذلك رفضٌ لكتاب الله وسنة النبي ، وهذا ما قام به حجر ونطقه بلسانه قائلا نعطيك كتاب الله وسنة نبيه ، وأظهر التحدي بوجوده وشخصه لإقامةِ حد الله في أخذ القصاص وهذا الدافع من حجر يثبت العقيدة الصحيحة القوية لشريعة الله ونبيه في أرضه وإقامة حدود الله بين عباده .

قال يونس بن عبيد :

كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة : إني قد احتجت إلى مال فأمدني ، قال : فجهز المغيرة إليه عيرا تحمل المال ؛ فلما فصلت العير بلغ حجرا وأصحابه ، فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير . قال : لا والله ، حتى يوفى كل ذي حق حقه ، فبلغ المغيرة ذلك أنه قد ورد العير معه . فقال شباب ثقيف : ائذن لنا أصلحك الله فيه فنأتيك برأسه الساعة . قال : لا والله ، ما كنت لأركب هذا من حجر أبداً ، فبلغ معاوية فاستعمل زيادا وعزل المغيرة(١) .

وحبُ الله والحرص على حقوق عباد الله دفع حجرا إلى التصدي وحبس العير وإعطاء كل ذي حقٍ حقه ، بالوقت الذي كان فيه معاوية وأتباعه لا يعرفون حقا من باطل ولا يفرقون بين

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٣٦ .

محتاج وغير ذي حاجة ، ويصبون الأموال هـدرا وإسـرافا فـي ما يخدم مصالحهم الشخصية ويقوي سـلطانهم الزائـف الحـائر فيحق لحجر وأمثاله بدافع حرص على حقوق المسلمين أن يحبس العير ، ويعطي لأصحاب الحق حقوقهم .

الفصل السادس

تفقههُ في الدين وبره بوالديه

قال أبو معشر :

كان حجر بن عدي رجلاً من كندة ، وكان عابداً . قال : ولم يُحدث قط إلاّ توضأ ، ولم يهرق ماء إلا توضأ ، وما توضأ إلا صلى[١] .

ولربما يقع البعض في اشتباهات كثيرة منها أخذ فكرة عن حجر بأنه مسرفٌ في وضوءه أو به وسواس الوضوء . لا بالعكس من ذلك كله ، إنما هو التعلق بالله وحب التقرب إليه فقد ورد بالحديث القدسي عن الرضا عليه السلام قال : قال الله عز وجل ما من عبد أحدث ولم يتوضأ ، فقد جفاني ، ومن توضأ ولم يصلي ركعتين فقد جفاني ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ولم يدعني دبرهما فقد جفاني ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٣٦ .

دبرهما فإن لم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف[١] ، ومن هذا المنطلق وبهذا الدافع كان الصحابي حجر يعمل حبا لله وتفانيا في ما عند الله عز وجل .

وكان على معرفة في امور دينه متفقها فيها عارفا بما يتوجب عليه من فريضة وجهاد ، إلا إن أمثال زياد ابن أبيه لا يروق لهم بقاء أمثال حجر على قيد الحياة .

قال عبد الكريم بن رشيد :

كان حجر بن عدي يلمس فراش أمه بيده ، بغلظة يده ، فينقلب على ظهره ، فإذا أمن أن لا يكون عليه شيء أضجعها[٢] .

أما في باب الفضائل فإن لحجر رضوان الله تعالى عليه شأنٌ كبير فهذا عبد الكريم بن رشيد ينقل لنا كيف كان له اهتمامٌ بأمه وحقها عليه ، وفي خبره هذا يريد أن يقول إن حجر من حبه لأمه وخوفه عليها كان قبل أن تنام يقوم بخدمتها فيحملها ويضجعها على فراشها ولكن قبل ذلك كان يتفحص الفراش بيده خشية أن تكون هناك حشرة أو شيءٍ ما يؤذي أمه، ثم بعد فحصه بيده ينام هو على الفراش مستلقيا على ظهره خشية ان يكون هناك شيء مؤذي أكبر من وجود حشرة أو شيء بسيط فيلمس الفراش بيده وينام مستلقيا على ظهره ليكون قاطعا

(١) الصحيفة الرضوية حديث السلسلة النورانية .

(٢) نفس المصدر المتقدم .

بالاطمئنان والأمان من عدم وجود شيء يسبب الأذى لامه ، وهذا لون من ألوان البر بالوالدين وصورة رائعة من حب وخدمة الأبوين وذلك من حب الله والقرب اليه .

الباب الرابع

مقتل حجر وأصحابه

الفصل الأول
ترجمة زياد بن أبيه

زياد بن أبيه[١] : الأمير لا تعرف له صحبة مع انه ولد مع الهجرة . قال ابن حيّان[٢] " في الضعفاء " ظاهر احواله المعصية وقد أجمع أهل العلم على ترك الاحتجاج بمن كان كذلك .

قال ابن عساكر : لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم في عهد أبي بكر، وولى العراق لمعاوية وروى عنه ابن سيرين ، وعبد الملك بن عمير ، وجماعة .

قال يزيد بن هارون ، حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال : أُتي إلى زياد في رجل توفي وترك عمته وخالته فقال : هل تدرون كيف قضى فيها عمر ؟ قالوا : لا . قال : جعل العمة بمنزلة الأخ والخالة بمنزلة الأخت فأعطى العمة الثلثين والخالة

---

(١) الطبقات الكبرى : ٩٩/٧ ، ٨٣/٦ ؛ البداية ٦١/٨ . اللسان ٤٩٣/٢ .

(٢) في ا : ابن أبان .

ثقيف وهو زياد ابن سمية ويقال له أيضاً زياد بن عبيد فلما استلحقه معاوية وزعم أنه أخوه . قيل زياد بن أبي سفيان .

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ، البداية والنهاية ، جـ٨ / ص٦٠

الفصل الثاني
نظرة وتأمل

وحدث العاقل بما يعقل وقل للحق هلم تعالى معي وانظر وتأمل ، أيُ عدلٍ هو ذاك الذي يدفع الأتقياء والابرار الى القتل ، وأيُ سلطان هو ذاك الذي يتحكم بأرواح الأبرياء ويتسلط على نفوس الأخيار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا للأسف كل الأسف على مراتبٍ استحلها قومٌ حرمت عليهم بلسان رسول ربِ العالمين فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الخلافة محرمةٌ على ال أبي سفيان) .

وقال إذا رأيتم معاوية على منبري فأبقروا بطنه .

فإذا كان المتسلط غاصبا معتديا فلا عجبٌ من إباحته دماء الأبرياء أمثال حجر وأصحابه .

وأيّ دافع للقتلِ ذاك . إذا كان نبيّ المسلمين يقول المسلم من سلم الناس من يده ولسانه – فكيف جاز لأمثال المغيرة بـ

شعبة وزياد ابن أبيه وعبيد الله بن زياد أولئك الطغاة ، سب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولاده وشيعته والنيل منهم بأبشع الكلام ، فحينما نرى مواقف حجر ونتأمل فيها .

نراها دفعٌ للباطل وإعلاء للحق ، وليس هذا وذاك فحسب إنما فعله تطبيقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) . فمواقفه مع المغيرة بن شعبة وعبيد الله ابن زياد لعنهم الله . تكشف عن حرصه على تطبيق قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإيداع الحق محله .

وانظر فيما ذكره الطبري في تاريخه من مواقف حق كانت سببا في قتل حجر وأصحابه .

الفصل الثالث

مواقف ولائية

وكان قتل حجر بن عدي سنة إحدى وخمسين ، وقيل : قتل سنة ثلاث وخمسين ، وفيها مات زياد بن أبي سفيان[١] .

وفي حديث فيل مولى زياد قال :

لما قدم زياد الكوفة أميرا أكرم حجر بن الأدبر وأدناه ، فلما أراد الانحدار إلى البصرة دعاه فقال : يا حجر ، إنك قد رأيت ما صنعت بك ، وإني أريد البصرة فأحب أن تشخص معي ، فإني أكره أن تخلف بعدي ، فعسى أن أبلغ عنك شيئا فيقع في نفسي ، فإذا كنت معي لم يقع في نفسي من ذلك شيء ، فقد علمت رأيك في علي بن أبي طالب ، وقد كان رأيي فيه قبلك على مثل رأيك ، فلما رأيت الله صرف ذلك الأمر عنه إلى معاوية لم أتهم الله ورضيت به ، وقد رأيت إلى ما صار أمر عليّ وأصحابه . وإني أحذرك

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص٢٤٢ .

ان نركب أعجاز امور هلك من ركب صدروها . فقال له حجر : اني مريض ولا أستطيع الشخوص معك . قال : صدقت والله إنك لمريض ، مريض الدين ، مريض القلب ، مريض العقل ، وايم والله ان بلغني عنك شيء أكرهه لأحرضّن على قتلك ، فانظر لنفسك اودع . فخرج زياد فلحق بالبصرة.

الفصل الرابع

ذكر سبب مقتل حجر وأصحابه

واجتمع إلى حجر قرّاء أهل الكوفة ، فجعل عامل زياد لا ينفذ الأمر ولا يريد شيئا إلا منعوه إياه ، فكتب الى زياد . انّي والله ما أنا في شيء ، وقد منعني حجر واصحابه كل شيء ، فأنت أعلم . فركب زياد بعماله حتى اقتحم الكوفة ، فلما قدمها تغيب حجر ، فجعل يطلبه فلا يقدر عليه ، فبينما هو جالس يوما وأصحاب الكراسي حوله ، فيهم الأشعث بن قيس ، اذ أتى الأشعث ابنُه محمد فناجاه ، وأخبره أن حجرا قد لجأ إلى منزله . فقال له زياد : ما قال لك ابنك ؟ قال : لا شيء . قال : والله لتخبرني ما قال لك حتى أعلم أنك قد صدقت ، أو لا تبرح مجلسك حتى اقتلك. فلما عرف الأشعث أخبره . فقال لرجل من أهل الكوفة من اشرافهم: قم فأتني به . قال: اعفني من ذلك ، ابعث غيري . قال : لعنة الله عليك خبيثا مخبثا ، والله لتأتيني به او لاقتلنك . فخرج ،

الرجل حتى دخل عليه ، فأخذه وأخبر حجراً الخبر ، فقال له : ابعث إلى جرير بن عبد الله فليكلمه فيك ، فإني أخاف أن يعجل عليك . فدخل جرير على زياد فكلمه فقال : هو آمن من أن اقتله ، ولكن أخرجه ، فأبعث به إلى معاوية ، فجاءه على ذلك ، فأخرجه من الكوفة ورهطا معه ، وكتب إلى معاوية أن اغن حجرا ، إن كان لي فيما قبلي حاجة، فبعث معاوية فتلقاه بعذراء ، فقتل هو وأصحابه ، وملك زياد العراق خمس سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين[١] .

قال هشام بن محمد ؛ عن أبي مخنف ، عن المجالد بن سعيد ، والصقعب بن زهير ، وفضيل بن خديج ، والحسين بن عُقبة المراديّ ، قال : كلٌ قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث حُجر بن عديّ الكنديّ وأصحابه: إنّ معاوية بن أبي سفيان لما ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد فإن لذي الحلْم قبل اليوم ما تُقرع العصا، وقد قال المتلمّس :

لذي الحلْم قبل اليوم ما تُقْرعُ العصا وما عُلّم الإنسان إلاّ ليعْلما[٢]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ص١٣٩،١٣٨ .

(٢) من المفضلية ٩٨ .

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم[١] ، وقد اردت ايصاءك[٢] بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويُسعد[٣] سلطاني ، ويَصلُحُ به رعيّتي ، ولست تارك ايصاءك بخصلة : لا تتحمَّ[٤] عن شتم علي وذمه ، والترحمَ على عثمانَ والاستغفار له ، والعيب على أصحاب عليّ ، والاقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطْراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ، والاستماع منهم . فقال المغيرة : قد جرّبت وجُرِّبتُ ، وعملتُ قبلك لغيرك ، فلم يَذمم بي دفع ولا رفع ولا وضْع ، فستبلو فتَحمدِ أو تَذمّ . قال[٥] : بل نحمد إن شاء الله .

وها هي ولايةُ المغيرة بن شعبة على الكوفة ، ومن كان في أول ولايته غضبُ الرحمن وسخط رسوله ، فلا اسفٌ على سوءِ عاقبته ، والقران الكريم يكشف عن امثال المغيرة بن شعبة فيمن أسس أساسهُ على تقوى الله وفيمن أسس أساسه على غضب من الله ورسوله . في قولهِ تعالى : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على**

---

(١) ف : " تعليم "

(٢) ف : " أن أوصيك " .

(٣) ص : " ويسدد " .

(٤) لا تتحم : لا تتورع .

(٥) كذا في س ، وفي ط : " ثم قال " .

تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[١] .

فحق لحجر بن عدي أن يقف أمام من لا أساس لهم في التقوى ولا ورع لهم عن الحرام . ولا خشية عندهم لله .

قال أبو مخنف : قال الصقعب بن زهير : سمعت الشعبيّ يقول : ما ولينا وال بعده مثله ، وإن كان لاحقا بصالح من كان قبله من العمّال[٢] .

وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا ، وهو من أحسن شيء سيرة ، وأشدّه حباً للعافية ، غير أنه لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان ، واللّعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له[٣]، والتزكية لأصحابه فكان حجر بن

(١) التوبة : الآية ١٠٩

(٢) وليس قول الشعبي في حق المغيرة تبجحا له وانما كلامه يكشف عن الفارق بين المغيرة وبين من جاء بعده مثل عبيد الله بن زياد لعنه الله فلو قيس العهدين لترحم على المغيرة لشدة جور من جاء بعده .

(٣) قد يسأل سائل اذا كان المغيرة بن شعبة حسن السيرة شديد الحب للعافية فما له وشتم الامام علي بن ابي طالب ابن عم الرسول وزوج البتول وأبو السبطين الحسن والحسين . ولاعجب من هذا يقدمون مقدمة لسب الامام علي بن ابي طالب !! وهي الترحم على عثمان والاستغفار له وذم قاتليه .. ثم من بعد ذلك يعرجون على شتم الامام علي عليه السلام في قتل عثمان فوالله إنه لبرئ من قتل عثمان كبراءة الذئب من قميص يوسف . وما كان علي ليقتل عثمان وإن كان له بذلك رغبة معاذ الله . لكان عمد إلى قتل من كان قبله ولانبرى لخلافة ولارجع الحق إلى اهله والفرع الى اصله لكنه صلوات الله عليه أعلى وأنبل وأسمى وأجل من أن يخالف المصطفى فيما أوصى وإنه لأحرص على الهدى وملازمة التقى . ولقد كان

عدي إذا سمع ذلك يتكلم ولم يسكت ويتحدى الظالمين أين ما كانوا وكيف ما كانوا ، إلا أن المغيرة كان يتكلم مع حجر من أجل إسكاته فكان يقول[١]: يا حُجْر ، لقد رُمي بسهمك ، إذ كنت أنا الوالي عليك ، يا حُجّر ويْحك ! اتّق السلطان ، اتق غضبه وسطوتَه ، فإنّ غضبَه السلطان أحيانا مما يُهلك أمثالك كثيرا . ثم يكفّ عنه ويصفح .

فلم يزل حتى كان في اخر إمارته قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقالته : اللهمّ ارحم عثمان بن عفان وتجاوزْ عنه ، وأجزِه بأحسن عمله ، فإنه عمل بكتابك ، واتّبع سنة نبيّك صلى الله عليه واله وسلم ، وجمع كلمتنا ، وحقن دماءنا ، وقُتل مظلوماً ، اللهم فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه ! ويدعو على قتَلته . فقام حُجْر بن عديّ فنعر نعرة بالمغيرة سمعها كلّ من كان في المسجد وخارجا منه . وقال : انك لا تدري بمن تولع من هرمك ! أيها الإنسان ، مُرْ لنا بأرزاقنا واعطياتنا ،

يقول أيام ولايته وخلافته مخاطبا العاصين من قومه وشعيته أما والله واني أعلم ما الذي يصلحكم لو شئت لأصلحتكم بسوطي وسيفي ولكن هيهات ان أصلحكم بفساد نفسي . يعني الامام أمير المؤمنين صلوات الله عليه يأبى ان يكون ظالما لغيره مجبرا العاصين على الهدى والاستقامة وهم لوائهم معرضون عن الهدى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ـ القصص : اية ٥٦

(١) ذكر الطبري ان حجر بن عدي كان يهاجم المغيرة بكلام سنأتي بقصته إن شاء الله في الباب اللاحق تحت عنوان أقواله .

فإنك قد حبستها عنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعا بذمّ أمير المؤمنين ، وتفريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثُلثي الناس يقولون : صدق والله حُجْر وبرّ ، مُرْ لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدى علينا شيئاً . وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه . فنزل المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومُه ، فأذن لهم ، فقالوا : علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجرأة ! إنّك تجمع على نفسك بهذا خصلتين : أما أولهما فتهوين سلطانك ، وأما الأخرى فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخطَ(١) له عليه وكان أشدّهم له قولا في أمر حُجْر والتعظيم عليه عن عبد الله أبي عقيل الثّقفيّ قال له المغيرة : إنّي قد قتلته ؛ إنه سيأتي أميرٌ بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي ، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة ؛ إنه قد اقترب أجلي ، وضعُف عملي ولا أحبّ أنْ أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم ، وسفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ، ويعزّ في الدنيا معاوية ، ويذلّ يوم القيامة المغيرة ؛ ولكني قابلٌ من محسنهم ، وعاف عن مسيئهم ، وحامدٌ حليمهم ، وواعظٌ

(١) س : " إسخاط " .

سفيههم ، حتى يفرّق بيني وبينهم الموت ، وسيذكرونني لو قد جرّبوا العمّال بعدي[١] .

لم يكن أسف المغيرة ليجدي نفعا أو يحدث تغيرا في نفوس الآخرين فطالما كان عوناً لظالمين وأداة للمعتدين وإن رفض قتل خيارهم وسفك دماء أشرافهم فما ذلك حبا بهم إنما هو العجز وضعف الحال ودنو الأجل ، وهو وفي هذه الحالة ما كان ليدع شتم علي عليه السلام والنيل منه .. فما هذه بهذه ؟!! وأي ورع هذا الذي يصدهُ عن محرّم ويدفعه لفعل اخر .

وبقي المغيرة بن شعبة على هذا الحال اي الى ان هلك سنة إحدى وخمسين للهجرة وأقبل عدو الله وعدو رسوله الذي أولع قتلاً في رقاب المسلمين وقد أجمع المسلمون في كل صحاحهم وبجميع كتب الحديث أن ناصب العداء لأهل البيت ملعونٌ كافر . عد في عِداد الخوارج الذين يكفرهم جميع المسلمين . ولا غرابة فيمن كان ظالماً أن يلعن إنما لعن الله الظالمين والمعتدين والمستكبرين في كتابه العزيز :

﴿ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذبا أؤلئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهدُ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾[٢] .

(١) الخبر في الأغاني ١٦:٤ (ساسي) .
(٢) هود : الاية ١٨ .

﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنةُ ولهم سوء الدار ﴾[١] .

ولما دخلت سنة احدى وخمسين للهجرة جمعت ولاية البصرة والكوفة تحت إمرة زياد ابن أبيه ولقد نجح معاوية في انتخابه للولاية على البصرة والكوفة حيث تمكن معاوية من تحقيق ما يريد من سطوه وظلم وتسيير ملكه وسلطانه رغم الأنوف واعتلاء على رقاب الأبرياء . وسحقا لحقوق وكرامة الأتقياء .. لكن كما تعلم أيها القارئ العزيز ، أن للحق دولةٍ وللباطل جولة .. وسرعان ما تتقلب الأحوال .. ويزولُ السلطانُ عن ملكه .. والأميرُ عن أمرته .. وأن اتبعوا في دوام ملكهم وسلطانهم ابشع الأعمال . وأكبر الأخطار . وأعظم الافعال .. لينالوا مطالبهم الدنية ويحسبونها نعمة زهية . لكن هيهات هيهات لن يبلغوا مبلغ النعمة والرضوان وتمضي حياتهم فاذا هم في حسرة وأحزان .

وكما قال القران الكريم : **﴿ ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذابٌ مهين ﴾**[٢] .

---

(١) غافر الآية ٥٢ .

(٢) آل عمران الآية ١٧٨ .

فإن وافقت زياد ابن أبيه الأقدار فكان أميرا على الناس فلن يزيدهُ ذلك إلا إثما وخسرانا . والتاريخ يتكلمُ لك عن فعله وسياسته وسطوته على الناس.

قال هشام : قال عوانة : فولي المغيرة الكوفة سنة احدى وأربعين في جُمادى ، وهلك سنة احدى وخمسين ، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان ، فاقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإننا قد جرّبنا وجُرّبنا ، وسُسنا وساسنا السائسون ، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلاّ بما صلح اوّله ، بالطاعة اللّيّنة المشبه سرّها بعلانيتها ، وغيّب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بألسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلاّ لين في غير ضعف ، وشدة في غير عُنْف ، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على اذلاله وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر[1] من كذبة امام على المنبر . ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرّظهم ، وذكر[2] قتلته ولعنهم[3] . فقام[4] حُجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة ، وقد كان زيادٌ قد رجع إلى البصرة وولى الكوفة[4] عمرو بن حريث ، ورجع إلى البصرة فبلغه أنّ حُجْرا يجتمع إليه شيعة علي ،

(١) ص : " أكثر
(٢) ص : " فذكر .
(٣) ف : " فلعنهم " .
(٤ — ٤) ص : " واقام بالكوفة ستة أشهر ثم ولاها

ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه[١] ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث ، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ، فأتى القصر فدخله ، ثم خرج فصعد المنبر وعليه قباء سُندس ومُطرف خزّ أخضر ، قد فرق شعره ، وحُجْر جالسٌ في المسجد حوله أصحابه أكثر ما كانوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ غبّ البغْي والغيّ وخيمٌ ، إنّ هؤلاء جمّوا[٢] فأشروا ، وأمنوا فاجترءوا عليّ ، وأيمُ والله لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم ، وقال : ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حُجر وأدعْه نكالاً لمن بعده ! ويلَ أمّك يا حُجر ! سقط العشاء بك على سرْحان ، ثم قال :

أبلغْ نُصيحةَ أنّ راعي إبْلِها سقطَ العشاءُ بهِ على سرْحانِ[٣]

وأما غيرُ عوانة ، فإنه قال في سبب أمر حُجر ما حدّثني عليّ بن حسن قال : حدّثنا مسلم الجرْميّ ؛ قال : حدّثنا مخلد بن الحسن ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : خطب زياد يوما في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عديّ : الصلاة ! فمضى في خطبته ، ثم قال : الصلاة ! فمضى في خطبته ، فلما خشي حُجْر فوْت الصلاة ضرب بيده إلى كفٍّ من

(١) س : " منهم "

(٢) جموا : اجتمعوا .

(٣) مثل . وأصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله . يضرب في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى التلف .

الحصا(١) ، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالناس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره ، وكثّر عليه .

فهذا الذي كان من فعل حجر بن عدي حرصة على الصلاة لأن الشمس قاربت على المغيب .. وإدراك الصلاة هذه وأولى من الاستماع إلى خطاب أولهُ حرام وآخرهُ حرام .. حيث بدأ زياد خطابه بشتم علي عليه السلام ويختمه بشتم علي ، فكان الصحيح من فعل حجرٍ أن يقوم إلى الصلاة .. فكانت هذه الحادثة هي نقطة الانفجار الذي أودى بحياة الصحابي حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه . فقام زياد في ذلك الوقت عازماً على الفتك بحجر وأصحابه ، فكتب إليه معاوية أن شُدّه في الحديد ، ثم احمله إليَّ . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قومُ حُجر أن يمنعوه ، فقال : لا . ولكن سمعٌ وطاعة(٢) ، فشدّ في الحديد ، ثم حمل إلى معاوية فلما

---

(١) أي حمل من الأرض قبضة من الحصى ليصلي عليها أو بالأحرى ليسجد عليها لأنه لا يجوز السجود على مأكول أو ملبوس وإن ما فعله حجر هو فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة . ففي البخاري برواية أنس بن مالك في باب كتاب الصلاة . قال كنا نأخذ الحصى فنبردها بأيدينا – .. أي نقبض عليها حتى تبرد ثم نصلي ونسجد عليها فيراه الرسول يرانا فيقول نعم الفراش فراشكم .

(٢) هذا مما لا يقبله العقل والضمير مما لا يتوافق مع شخصية حجر بن عدي وصلابته ورفضه للباطل ، وهذا من جانب ومن جانب آخر إذا كان عند حجر سمع وطاعة لمعاوية وزياد ابن أبيه لما هاجموهم في السوق وضربوهم بأعمدة الدكاكين ، وجرحوا الكثير منهم وكلمة سمع وطاعة تتناقض مع موقف حجر من المعمورة لما حصبه وشتم زياد .

دخل عليه قال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[١] ، فقال له معاوية : أمير المؤمنين ! أما والله لا اقيلك ولا أستقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه . فأخرج من عنده .

قال مخلد : قال هشام : كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغسّل ، حدّثهم حديث حُجر .

الذي بقى حديثة وذكره على مر العصور والدهور خالدا حيا ويقتدي بفعله ويستعملون طريقته في عدم التغسيل للشهيد إنما يدفنُ بدمائه .. فأنظر أيها القارئ العزيز إلى هذا الشموخ وإلى هذا الخلود الذي صدر من فعل حجر رضوان الله تعالى عليه .. وعملٌ صغير قام به حجر رضوان الله عليه جعل الأجيال تسيرُ عليه وتعملُ به .. وتتداول حريتهُ .. حتى بلغ الأمر إلى حد التأثر والأسف من قبل عائشة وغيرها .

وكذلك تتناقض مع موقف حجر من زياد ابن ابيه الذي وقف بحجر اسامه في وسط الجامع واقام الصلاة رغم انف الطاغية زياد

(١) لم يقل حجر لمعاوية يا أمير المؤمنين !! لان حجر لا يعترف بأمير على المؤمنين غير الامام علي بن ابي طالب . وهذا الخبر يختلف مع عقيدة حجر رضوان الله تعالى عليه ، وإن صح الخبر فالسلام من صفات الكرام وإن قال لمعاوية شيء فقوله حتما يا امير فقط ، كما قال للاعمى بصير ، لأنه قول معاوية والرد عليه أي على حجر ، مما يكشف عن الذل والهوان لحجر ، إن كان قال لمعاوية يا امير المؤمنين ، وكيف يخاطبه حجر رضوان الله عليه بهذا اللفظ وهو في تحدي للطغاة وحرب ضروس للظالمين ، فلا يمكن لحجر رضوان الله عليه ان يتهاون لانهم القوا القبض عليه من بعد هجوم عنيف ، بل يأبى حجر رضوان الله عليه ان يستسلم او يضعف امام طاغية من الطواغيت لان ما ذكره الطبري من خبر حجر وقوله امام معاويه يكشف عن ضعفه ولم يكن حجر رضوان الله تعالى عليه ضعيفا .

قال محمد : فلقيتْ عائشة أمّ المؤمنين معاوية قال مخلد : أظنّه بمكة فقالت : يا معاوية ، أين كان حلمك عن حجر ! فقال لها : يا أمّ المؤمنين ، لم يحضرني رشيد ![1]

قال ابن سيرين : فبلغنا لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول : يومي منك يا حجر يومٌ طويل ![2]

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال حدّثني إسماعيل بن نعيم النّمريّ ، عن حسين بن عبد الله الهمْدانيّ ، قال : كنت في شُرط زياد ، فقال زياد : لينطلقْ بعضكم إلى حُجْر فليدْعه ؛ قال : فقال لي أمير الشُّرْطة – وهو شدّاد ابن الهيثم الهلاليّ : اذهب إليه فادْعه ؛ قال فأتيتُه فقلت : أجب الأمير فقال أصحابه لا يأتيه ولا كرامة ! قال : فرجعت إليه فأخبرته . فأمر صاحب الشُّرطة ان يبعث معي رجالا ، قال : فبعث نفرا قال : فأتيناه فقلنا : أجب الأمير قال : فسبّونا وشتَموا ، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر ، قال : فوثب زياد بأشراف أهل الكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، أتشجّون بيد وتأسُون بأخرى ! أبدانكم معي وأهواؤكم مع حُجْر ! هذا الهجهاجة الأحمق المذبوب[3] .

---

(١) يعني لم يكن عندي حينها في ذلك الوقت رشدٌ وعقل فحجرني عن الاقبال على قتل حجر .

(٢) ولو لم يكن معاوية على خطأ لما شعر بالندم ولكن هيهات هيهات فماذا بعد ذلك سوى الندم ، وبئس للظالمين ولهم اللعنةُ وسوءُ الدار وسيصلون سعيرا بما كسبوا .

(٣) الهجهاجة : الأحمق الذي لا يؤامر أحدا ويركب رأسه . والمذبوب : المسعور .

أنتم معي وإخوانكم وعشائركم مع حُجْر ! هذا والله من دحْسكم[١] وغشكم ! والله لتظهرنّ لي براءتكم أو لآتينّكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم ! فوثبوا إلى زياد ، فقالوا : معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلّ ما ظننا أنّ فيه رضاك ، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحُجر فمُرْنا به ، قال : فليقم كلّ امرئ منك إلى هذه الجماعة حول حُجر فيدْعُ كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته ، حتّى تقيموا عنه كلّ من استطعتم أن تقيمون . ففعلوا ذلك ، فأقاموا جُلّ من كان مع حُجر بن عدّي ، فلما رأى زياد أنّ جُلّ من كان مع حُجْر أقيم عنه ، قال لشدّاد بن الهيثم الهلاليّ - ويقال:هيثم بن شدّاد أمير شرطته - : انطلق إلى حُجْر ، فإن تبعك فأتني به ، وإلا فمرْ من معك فلينتزعوا عُمُد السوق ، ثم يشدّوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حال دونه . فأتاه الهلاليّ فقال : أجب الأميرَ ؛ قال : فقال أصحاب حُجْر : لا ولا نُعمة عين ! لا نجيبه . فقال لأصحابه : شدّوا على عُمُد السوق ، فاشتدّوا إليها ، فأقبلوا بها قد انتزعوها ، فقال عمير بن يزيد الكنديّ من بني هند وهو أبو العمرّطة : إنه ليس معك رجل معه سيفٌ غيري ، وما يغني عنك ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ من هذا المكان فالحق بأهلِك يمنعك قومُك . فقام زياد ينظر إليهم وهو

(١) الدحس : التدسيس للأمور .

على المنبر ، فغشوا بالعُمُد ، فضرب رجل من الحمراء ـــ يقال له بكر بن عبيد – رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع ، وأتاه أبو سفْيان بن غويمر والعجْلان بن ربيعة وهما رجلان من الأزْد فحملاه ؛ فأتيا به دار رجل من الأزْد – يقال له عبيد الله بن مالك – فخبّأه بها ، فلم يزل بها متوارياً حتّى خرج منها[١] .

وحتى بعد خروجه لم يسلم من زياد ابن أبيه وجنوده .. إلى أن انتهت به الأرض إلى مغارة يتخبأ بها من الظالمين .. وكان معهُ جون مولى أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليهما .. فلما دخلا المغارة واستكنا فيها خرج جون مولاه إلى الخارج ليستطلعَ الأمرَ فما أن عاد إلى المغارة حتى وجد سيدهُ عمرو بن الحمق الخزاعي يتعالج من حيةٍ قد لسعتهُ فأعانهُ جون على قتلها .. ولكن قد فات الأوان وصعب استدراك عمرو بن الحمق وتمالك نفسه .. وانظر هنا أيها القارئ العزيز إلى المحبة والولاء وإلى الإخلاص والفداء .. وإذا بعمر بن الحمق الخزاعي يجعلُ جون في حلٍ منه ويعتقه .. ويذكره بقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .. حيث قال له يا عمرو سيجبرونك على البراءة مني فتأبى ذلك .. فيشترك في قتلك الأنسُ والجن فها هو الان يتكلمُ مع مولاه جون ويقولُ له صدق مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إذ قال ستشترك في قتلك الإنسُ والجن فأما فكانت الأفعى التي لسعته ،

(١) الأغاني ١٦ : ٣٠٤ (ساسي) .

فكانت من الجن وأما الإنس فجماعة زياد ابن أبيه ثم قال لمولاه[١] جون .. أسرع أنت بالهرب ودعني فإني ملاق الله ربي عن قريب وأما أنت فإن الله قد أعد لك خيراً منها[٢] ..

وهكذا يهرب جون ويتمكن من الوصول إلى مكة المكرمة والالتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام .. وأما عمرو بن الحمق الخزاعي لما تركه جون وهو يجوذ بنفسه من أثر لسعة الأفعى . كان جند زياد بن أبيه قد تتبعوا أثره وعثروا عليه وهو سليم يتملل[٣] دخلوا عليه واحتزوا رأسه وأخذوه إلى زياد بن أبيه .. ولاحظ يا عزيزي القارئ كم هي خبيثة نفسية زياد .. وكم هو حقير .. كان قد ألقى القبض على زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي فلما وصله رأس عمرو أرسلة إلى زوجته بيد السجان . فلما رأتة وضعت يدها على جبهته وقالت غيبتموه عني طويلا وأهديتموه لي قتيلاً فنعم الهدية التي أهديتموني اياها .. فلنعم الرحيل رحيلة ولنعم الشهادة شهادته ، ولقد كان عمرو بن الحمق الخزاعي من حواري الإمام علي عليه السلام وخواصه وكان يعلم علم المنايا والبلايا وذلك العلم من بين العلوم التي علمها إياه الإمام امير المؤمنين عليه السلام . وكذلك كان يعلمها بقية الخواص من

---

(١) مولاه : اي خادمه .

(٢) أي أن الله قد أعد لك شهادة أفضل من هذه الشهادة وهي أرض كربلاء ويوم عاشوراء فكان من الشهداء بين يدي الحسين عليه السلام .

(٣) اي ملدوغ يتألم من سم الأفعى .

أصحاب الإمام علي (عليه السلام) .. الذي كان احدهم يلقب بالحواري أي المقرب المخصوص بعلم الإمام الذي له مؤهل لتلقي علوم أهل البيت وحملها وتعليمها إلى الناس . وكان صلوات الله تعالى عليه له ثمانية حواري أربعة كانوا في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأربعة كانوا له بعد النبي أي بعد وفاته .

الحواريين زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

١- سلمان الفارسي .

٢- أبو ذر الغفاري .

٣- عمار بن ياسر .

٤- مالك الأشتر .

الحواريين الذين كانوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

١- عمرو بن الحمق الخزاعي .

٢- حجر بن عدي الكندي .

٣- ميثم التمار .

٤- أبو الأسود الدؤلي وقيل الأصبغ بن نباته .

فكان عمرو بن الحمق الخزاعي واحدا من بين أولئك الثمانية وكان عبدا صالحاً تالياً للقران .. من المتهجدين بالليل . كما ذكر ذلك أبو مخنف .

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما انصرفنا من غزوة باجُميرا قبل

مقتل مُصعب بعام ، فإذا أنا بأحمريّ يسايرني ووالله ما رأيته من ذلك اليوم الذي ضرب فيه عمرو بن الحمق ، وما كنت أراه لو رأيته أن أعرفه فلما رأيته ظننتُ أنه هو هو ، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت الضارب عمرو بن الحمق ؟ فيكابرني . فقلت : ما رأيتُك من اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يومي هذا ، ولقد عرفتُك الآن حين رأيتُك ؛ فقال لي : لا تعْدم بصرك ، ما أثبت نظرك ! كان ذلك أمرُ الشيطان ، أما إنه قد بلغني أنه كان أمرأ صالحا ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فأستغفر الله . فقلت له : ألا ترى ، والله لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك على رأسك مثل الضرّبة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت ! فناشَدني الله وسألني الله ، فأبيْت عليه ، ودعوتُ غلاما لي يُدعى رشيداً من سبْى أصبهان معه قناة له صُلْبة ، فأخذْتها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فنزل عن دابتَه ، وألحقه حين استوت قدماه بالأرض ، فأصفع بها هامتَه ، فخرّ لوجهه ، ومضيتُ وتركته . فبرأ بعدُ ، فلقيتُه مرتين من الدهر ، كلّ ذلك يقول : الله بيني وبينك ! وأقول : الله عزّ وجلّ بينك وبين عمرو بن الحمق ![1]

---

(١) لأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .

ثم رجع إلى أول الحديث . قال : فلما ضرب عمرا تلك الضربة وحمله ذاك الرّجلان ، انحاز أصحابُ حُجْر إلى أبواب كِنْدة ، ويضرب رجلٌ من جُذام كان في الشُرطة رجلا يقال له عبدُ الله بن خليفة الطائيّ بعمود ، فضربه ضربة فصرعه ، فقال وهو يرتجز :

قد علمتْ يوْم الهياج خُلّتي أنى إذ ما فئتى تولّت
وكثُرتْ عُداتُها أو قلّت أنّي قتّالٌ غداة بلّت

وضُربتْ يد عائذ بن حملة التميميّ وكُسرتْ نابه ، فقال :

إنْ تكْسروا نابي وعظْم ساعدي فإنّ فيّ سوْرة المُناجد
وبعْضَ شغْب البطل المُبالد

وينتزع عموداً من بعض الشُّرْطة ، فقاتل به وحمى حُجْرا وأصحابه ؛ حتى خرجوا من تلقاء أبواب كنْدة ، وبغلة حُجْر موقوفة ، فأتى بها أبو العمرّطة إليه ، ثم قال : اركب لا أب لغيرك ! فوالله ما أراك إلاّ قد قتلت نفسك ، وقتلتنا معك ، فوضع حُجْر رجله في الرّكاب ؛ فلم يستطع أن ينهض، فحمله أبو العمرّطة على بغلته ، ووثب أبو العمرطَة فما هو إلا أن استوى حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المُسْليّ – وكان يغْمز[١] فضرب أبا العمرّطة بالعمود على فخذه ، ويخترط أبو العمرّطة سيفه ،

---

(١) الغمز : الضلع الخفيف وأصله في الدابة .

فضرب به رأس يزيد بن طريف ، فخرّ لوجهه . ثم إنه برأ بعد .
من ضربة يزيد .. فإذا هو يقول بقول: عبد الله بن همّام السّلوليّ :

ألؤم ابْن لؤم ما عدا بك حاسرا إلى بطلِ ذي جُـرْأة وشكيـم !
معـاود ضرْب الدّارعين بسيْفه على الهام عند الرّوْع غيْر لئيم
إلى فارس الغاريْن يوم تلاقـيا بصفّين قرْم خيْر نجل قُـرْوم[١]
حسبْت ابن برْصاء الحتار قتاله قتالك زيدا يـوْم دار حـكيم[٢]

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب بـه فـي الكوفـة فـي الاختلاف بين الناس . ومضى حُجْر وأبو العمرّطـة حتـى انتهيـا إلى دار حُجْر ، واجتمع إلى حُجْر ناس كثيـر مـن أصـحابه ، وخرج قيس بن فهدان الكنديّ على حمار له يسـير فـي مجـالس كنّدة ، يقول :

يا قوْم حُجْر دافعوا وصاولوا وعنْ أخيـكمْ ساعة فقاتـلوا
لا يُلْفيا مـنكمْ لحُجْر خـاذلْ أليْس فيـكُمْ رامـحٌ ونابـلْ
وفـارسٌ مُـستلئمٌ وراجـلْ وضاربٌ بالسّيْف لا يُزايـلْ!

فلم يأته من كندة كثير أحد . وقال زياد وهو علـى المنبـر : ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء معصر ومذحج وأسـد وغطفـان فليأتوا جبّانة كنْدة ، فليمْضوا منْ ثمّ إلى حُجْر فليـأتوني بـه . ثـم انه كره ان يسيّر طائفة من مضر مع طائفة من أهل الـيمن فيقـع

(١) الغاران . الجيشان : واحدة غار .
(٢) برصاء الحتار : يعني حلقة الدبر

بينهم شغب واختلاف ، وتفسُد ما بينهم الحميّة ، فقال : لتقم تميم وهوازن وأبناء معصر وأسد وغطفان ، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبّانة كنْدة ، ثم لينهضوا إلى حُجر فليأتوني به ، وليسر سائر أهل اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصائديّين(١) فليمضوا إلى صاحبهم ، فليأتوني به . فخرجت الأزْد وبجيلةُ وخثعم والأنصار وخُزاعة وقضاعة ، فنزلوا جبّانة الصائديّين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لمكانهم من كنَدة ، وذلك أنّ دعوة حضرموت مع كنْدة ، فكرهوا الخروج في طلب حجر(٢) .

ها هي قبائل العرب تختلف فيما بينهم فمنهم قد اشترى مرضاة المخلوق بسخط الخالق .. ومنهم باع حظه في الاخرة بالخسيس الأدنى . ومنهم من خاف سطوة السلطان . فحنى على ذويه وأرحامه يجرهم جراً إلا من عصمه الله برحمته ، وأيدهُ الرحمنُ بهدىً ويقين ، ففاز بالحظ الأوفى وفاز ونجى من سطوة المولى .. وصبر على بلايا الدنيا فذلك هو المؤمنُ حقا ، الذي امتحن اللهُ قلبهُ للإيمان .

ولا يخلو المؤمنُ من ناصر أين ما كان فالله جل جلاله هو مولاهُ وهو نعم المولى ونعم النصير .. فلولا قلة الناصر وسطوة الظالم لما تمكنوا من حجر بن عدي وأسلموه إلى زياد بن ابيه ..

(١) ابن الأثير : " الصائدين " ، الأغاني : " الصيداويين " .

(٢) الأغاني ١٦ : ص٤ .

ونفذ حكم الطاغية فيه .. لكن اختار الله له الدارَ الأبقى والحظَ الأوفى .

قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : إني لمع أهل اليمن في جبّانة الصائديّين إذ اجتمع رءوس أهل اليمن يتشاورون في أمر حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : أنا مشير عليكم برأيٍ إن قبلتموه رجوتُ أن تسلموا من اللائمة والإثم ، أرى لكم أن[1] تلبثوا قليلاً فإنّ شباب همْدان ومذحج سرعان ما يكفُونكم ما تكرهون أن تلُوا من مساءة قومكم في صاحبكم[1] قال : فأجمع رأيهم على ذلك ، قال : فوالله ما كان إلاّ كلا ولا[2] حتى أتينا ، فقال لنا : إن مذحج[3] وهمْدان قد دخلوا فأخذوا كلّ من وجدوا من بين جبلة[4] . قال : فمرّ أهل اليمن في نواحي دور كنْدة معذّرة[5] ، فبلغ ذلك زيادا ، فأثنى على مذحج وهمْدان وذمّ سائر أهل اليمن . وإنّ حُجْر لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلّة منْ معه من قومه ، وبلغه[6] أنّ

(١ــ١) الأغاني : " أن تلبثوا قليلا حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون ان يكون من مساءة قومكم في صاحبكم " .

(٢) أي قصر الوقت الذي يتسع للفظ " لا " و " لا " .

(٣) الأغاني : " شباب مذحج " .

(٤) الأغاني : " في بني بجيلة " .

(٥) الأغاني : " معذرين " .

(٦) س : " نزل مذحج وهمدان "

مذحج و همْدان نزلوا(١) جبّانة كنــدة وســائر أهــل الــيمن جبّانــة الصائديّين قال لأصحابه : انصرفوا فوالله مالكم طاقةٌ بمن قد اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحــبَّ أن أعرّضــكم للهــلاك ؛ فــذهبوا لينصرفوا ، فلحقتْهم أوائلُ خيل مذحج وهمْــدان . فعطــف علــيهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بــن عمــرو البــديّ وعبــد الرحمن بن مُحرز الطّمحيّ وقيس بن شــمر ، فتقــاتلوا معهــم ، فقاتلوا عنه ساعة فجرِحوا ، وأسر قيس بن يزيد ، وأفلــت ســائر القوم ، فقال لهم حجر : لا أبا لكم ! تفرّقوا لا تقاتلوا(٢) فإني آخــذ في بعض السُكك(٣) . ثم آخذ طريقاً نحو بني حرب ، فســار حتــى انتهى إلى دارِ رجل منهم يقال له سليم بــن يزيــد ، فــدخل داره ، وجاء القومُ في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار ، فأخــذ ســليم بــن يزيد سيفه ، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكتْ بناته ، فقال لــه حُجْــر : ما تريد ؟ قال : أريد والله أسألهم أن ينصرفوا عنك ، فــإن فعلــوا وإلا ضاربتُهم بسيفي هذا ما ثبت قائمُه في يــدي دونــك ؛ فقــال حُجر : لا أبا لغيرك ! بئس ما دخلت به اذاً على بناتــك ! قــال : إنّي والله ما أمُونهنّ ، ولا رزقهنّ إلا على الحيّ الذي لا يمــوت ، ولا أشتري العارَ بشيء أبداً ، ولا تخرجْ مــن داري أســيرا أبــدا

(١) س : " نزل مذحج وهمدان " .
(٢) الأغاني : " لا تقتلوا " .
(٣) الأغاني : " الطرق " .

وأنا حيَ أملك قائم سيفي، فإنْ قتلتُ دونك فاصنع ما بدا لك . قال حُجر : أما في دارك هذه حائط أقتحمه ؟ ، أو خوْخة[١] أخرج منها ، عسى أن يسلمني الله عزّ وجلّ منهم ويسلمك ، فإذا القوم لم يقدروا عليّ عندك لم يضروك ! قال : بلى هذه خوْخة تخرجك إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم من قومك ، فخرج حتى مرّ ببني ذُهْل ، فقالوا له : مرّ القومُ انفاً في طلبك يقْفُون أثرك . فقال : منهم أهرُب ؛ قال : فخرج ومع فتْية منهم يتقصّون[٢] به الطريق ، ويسلكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النّخع ، فقال لهم عن ذلك : انصرفوا رحمكم الله ! فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر فدخلها ، فإنّه لكذلك قد ألقى له الفُرُش عبدُ الله ، وبسط له البسْط ، وتلقّاه ببسطِ الوجه، وحسن البشْر ، إذ أتى فقيل له : إنّ الشُرط تسأل عنك في النّخع - وذلك أنّ أمة سوداء يقال لها : أدماء ، لقيتْهم ، فقالت : منْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجْراً ؛ قالت : ها هو ذا قد رأيتُه في النُخع ، فانصرفوا نحو النّخع - فخرج من عند عبد الله متنكراً ، وركب معه عبدُ الله بنُ الحارث ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأزديّ في الأزْد ، فنزلها يوما وليلة ، فلما أعجزهم أن يقدْروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له : يا أبا ميثاء ، أما والله لتأتيني بحجْر أو لا أدع

(١) الحوجة : باب صغير في باب كبير .

(٢) في كتاب الأغاني جاءت العبارة : " يقصون " .

لك نخلة إلا قطعتها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً ؛ قال : أمهلني حتى أطلبه ، قال : قد أمهلتك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا عُدّ نفسك مع الهلكى . وأخرج محمد نحو السجن منتقع اللون يُتلّ تلاً عنيفاً[١] ، فقال حُجْر بن يزيد الكنديّ لزياد : ضمّنيه وخلّ سبيله يطلب صاحبه ؛ فإنه مخلّى سرْبُه – أحْرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فقال أتضمنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لئن حاص عنك لأزيرنّك شعوب[٢] ، وإن كنت الآن عليّ كريماً . قال : إنه لا يفعل ، فخلّى سبيله .

ثمّ إن حُجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد ، وقد اتي به أسيراً ، فقال لهم : ما على قيس بأس ، قد عرفنا رأيه في عثمان ، وبلائه يوم صفيّن مع أمير المؤمنين ، ثم أرسل إليه فأتي به ، فقال له : إني قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حُجْر ؛ إنك ترى رأيه ، ولكن قاتلتَ معه حميّة قد غفرتها لك لما أعلم من حُسن رأيك ، وحُسن بلائك ؛ ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير ؛ قال : أجيئك به إن شاء الله ؛ قال : فهات من يضْمنه لي معك ، قال: هذا حُجر بن يزيد يضْمنه لك معي ؛ قال حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمّنه على ماله ودمه ، قال : ذلك لك ، فانطلّقا فأتيا به وهو جريح، فأمر به فأوقر حديدا ، ثم أخذته

(١) يتل : يشد ، ومنتقع : أي داكن اللون .

(٢) حاص : عدل وعاد ، وشعوب اسم المنية .

الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سررها ألقوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مرارا ، فقام إليه حُجر بن يزيد فقال : ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله ! قال : بلى ، قد امنته على ماله ودمه ، ولست أهريق له دما ، ولا آخذ له مالا . قال : اصلحك الله! يُشفى به على الموت ؛ ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن ، فدنوا منه وكلّموه ، فقال : أتضمنونه لي بنفسه ، فمتى ما أحدث[١] حدثا أتيتموني به ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وتضمنون لي أرْش[٢] ضربة المسليّ ، قالوا : ونضمنها ؛ فخلّى سبيله .

ومكث حُجْر بن عديّ في منزل ربيعة بن ناجد الأزديّ يوما وليلة ، ثم بعث حُجر إلى محمد بن الأشعث غلاما له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شيء من أمره ، فإنّي خارج إليك ، أجمع نفرا من قومكم ثم أدخل عليه فأسأله أن يُؤمّنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى فيّ رأيه[٣] .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخي الأشتر ، فأتاهم فدخلوا

---

(١) الأغاني : " متى أحدث " .

(٢) الأرش : دية الجراحات .

(٣) تاريخ الطبري :ج٥ ـ ص٢٦٤،٢٦٣ .

إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمنّه حتى يبعث به الى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه ان قد أخذنا الذي تسأل ، وأمروه أن يأتي ؛ فاقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ! حرب في أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على أهلها تجني براقش[١] . قال : ما خالعت[٢] طاعة ولا فارقت جماعة ، وإني لعلى بيعتي[٣] ؛ فقال :

---

(١) براقش : اسم كلبه دلت بنباحها قوما على أربابها فهلكوا

(٢) الاغاني ورد فيها : " خالعت .

(٣) وهذا خلافُ الأصل .. فحجر بن عدي ما خالف طاعة الرحمن ولا احل في طاعته عز وجل وإنما كان في طاعته وساعياً لنيل رضوانه . ولم يكن حجرُ هذا الذي يُعرف بين قومه بحجر الخير الذي كان يلازمُ بالوضوء . ويعمل الصالحات .. ان يخالف الجماعة أو يجعل الناسَ في متاهة .. ومتى كان زياد ابن ابيه على حق ودين حتى تُصبح حجر لحجر في مواقفه خارجٌ عن السير المستقيم وانما طلب منه (اي من زياد) ومن عبره الا يسبوا علي بن ابي طالب أمير المؤمنين ووصيّ رسول رب العالمين .. وموقفهُ الاخر حرصه على عند فوات الصلاة .. إنما الأمرُ واضح وضوح الشمس .. لا ينسجمُ الخيرُ مع الشر والباطل مع الحق ولا الصالحُ مع الفساد ، .. ومتى كانت لحجرٍ بن عدي الكندي بيعة للظالمين حتى خلّ بها يؤسفني أن الطبري في تاريخه حينما ذكر هذا القول ونسبهُ لحجر لا يعمق ولا تمعن فيه !! لانه لو كان لحجر بيعةٌ ولم يخلُ بها فلماذا احذ إلى معاويه وضربت عنقه هو وأصحابه ؟!!!.. وإلا المفروض لمن كان على بيعته ولم يفارق الجماعة ولم يخرج عن الطاعة فلماذا حرص زياد ابن أبيه القبائل وأمرهم بمحاصرة حجر وملاحقته ولماذا أمر شداد ابن الهيثم الهلالي .. أمر شرطته بأن يحاصروا حجر وأصحابه ويحصروهم ، فإن لم يجدوا تحولوا إلى أعمدة السوق فانتزعوها وهاجموهم .. حتى ضرب عمرو بن الحمق الخزاعي على رأسه في وسط المسجد . وخرج واختبئ إلى ان لاحقوه واحتزوا رأسهُ أي جماعة هذه التي يجب ان لا تُخالف وأي طاعة تلك التي يجب ان لا تخالف واي بيعة تلك التي يجب ان تعطى ولمن للظالمين !! العاصين !! للطلقاء الذين حرم الله ورسولهُ الخلافة عليهم

هيهات هيهات يا حُجْر ! تشجّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكن الله منك أن نرضى ! كلاّ والله . قال : ألم تؤمنّني حتّى اتى معاوية فيرى في رأيه ! قال: بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن ، فلما قُفّي به من عنده قال زياد : أما والله لولا أمانه[1] ما برح أو يلفظ مهجة نفسه[2] .[3]

قال هشام بنْ عروة : حدثني عوانة ، قال : قال زياد : والله لأحرصنّ على قطع خيط رقبته .[4]

لماذا يا ترى يا زياد ؟ هل لحرصك على أمن الناس وسلامتهم ؟ وممن ؟ أمن حجر الخير الذي كان أحرصْ منك على وقت الصلاة وخشية فواتها .. أم رفضه شتم أمير المؤمنين ومولى الموحدين ويعسوب الدين ووصي رسول رب العالمين !!

نعم يا زياد إنهُ الحقد الدفين .. والنقص المبين .. والنسب الضائع .. الذي سبب لك ولأمثالك من الطاغين ملاحقة المتقين وسفك دماء المؤمنين .

--- لا والله فلا ينبغي إلا محاربة أعداءُ الدين وأعداء أهل البيت .. الذين جعل الله مودتهم فرض على أعناق المسلمين ونصرتهم نصرة لرسول رب العالمين . صلوات الله تعالى عليهم أجمعين . ثم لاحظ أيها القارئ العزيز إلى قول زياد ابن ابيه .. فسيكشف لك عن حقد الدفين

(١) في الأغاني : " الأمانة " .

(٢) الأغاني : " ما برح حتى يلقى عصبه " ؛ والخبر في ١٦ : ٥،٥٤ (ساسي) .

(٣) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٦٤ .

(٤) تاريخ الطبري : ج ٥ ــ ص٢٦٤ .

نعم إنما أنت تحلبُ شاةً لك شطرَ حليبها .. ففعلك مر معاوية لواحد وفرعك من أصله ثابت وإلا لما كان بعد العجز في أبيك نسبك إلى أبيه ..

ولرب قائلٍ يقول مالك وميت قد أكلت الديدان لحمه وفرت الأفاعي والعقارب جسمه قد ذهب وذهبت أيامه .؟

ثم أيها القائل أعلم إن الماضي أساسُ الحاضر والحقُ يبقى أبداً ظاهراً ولن يدع الله دماءُ الأبرياء عبثا هباء ، فكيف يكونُ عادلا حاكماً ويتسامح بظلم ظالم .. حاشى ، يأبى الله إلا العدل والإحسان .

﴿ إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[١] .

لكن أمثال زياد ابن أبيه لن يتذكروا ولن يتعظوا إنهم الذين ختم الله على سمعهم وأبصارهم وجعل على قلوبهم غشاوة فإنهم يعرفون الحق ولكن يحرفون لأن الدنيا أعمت أبصارهم وبصائرهم .

وإن تمكنت يا زياد من رقاب الأخيار ومكنك حرصك من خيط رقبة الصحابي حجر بن عديّ فلن تتمكن من حبل ولائه المتين ولن تنال منهُ بيعةً ، فهو رضوان الله عليه من الصادقين

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .

الذين صدقوا الله في أنفسهم فكانوا على اليقين بايعوا الله ورسوله وصدقوا الله في بيعتهم وأخلصوا لله وللرسول فيها .

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾(١) .

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾(٢) .

ولم يتخلَّ أو يتراجع حجرٌ عن بيعته لمولاه علي بن أبي طالب ولن يتبرء منهُ وإن كان الثمن حياتهُ وحياة أصحابه الأوفياء .

قال هشام بن محمد : عن أبي مخنف ، وحدثني المجالد بن سعيد ، عن الشعبيّ وزكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق : أنّ حُجراً لما قُفّي به من عند زياد نادى بأعلى صوته : اللهمّ إنّي على بيْعتي ، لا أقيلُها ولا أستقيلُها ، سماع الله والناس . وكان عليه بُرنس في غداة باردة ، فحبس عشر ليال ، وزيادٌ ليس له عمل(٣) إلا طلب رؤساء أصحاب حُجر ، فخرج عمرو بن الحمق

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١١ .

(٣) الأغاني : " ما له عمل " .

ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن ، ثم ارتحلا حتى أتيا ارض الموصل ، فأتيا جبلاً فكمنا فيه ، وبلغ عامل ذلك الرّستاق[٤] أنّ رجلين قد كمنا في جانب الجبل ، فاستنكر شأنهما وهو رجل من همْدان يقال له عبد الله بن أبي بلْتعة – فسار اليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد ، فلما انتهى إليه خرجا ، فأما عمرو ابن الحمق فكان مريضاً ، وكانت بطنه قد سقى[١] ، فلم يكن عنده امتناع ؛ وأما رفاعة بن شدّاد - كان شابّا قويّا - فوثب على فرس له جواد . فقال له : أقاتل عنك ؟ قال : وما ينفعني أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعتَ ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له ، فخرج فنفرت به فرسه ، وخرجت الخيل في طلبه - وكان رامياً – فأخذ لا يلحقه فارسٌ إلا رماه فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه ، وأخذ عمرو بن الحمق ، فسألوه ": من أنت ؟ فقال : من إن تركتموه كان أسلَم لكم ، وإن قتلتموه كان أضرّ لكم ؛ فسألوه : فأبى أن يخبرهم ، فبعث به ابن أبي بلْتعة إلى عامل الموصل -- وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ – فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه ، وكتب إلى معاوية يخبره ، فكتب إليه معاوية : إنه زعم أنه طعن عثمان بن عفّان تسع طعنات بمشاقص كانت معه ، وإنا لا نريد

(٤) الرستاق : يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك للمدن .

(١) الأغاني : " استسقى " ، والسقى والاستسقاء : ماء اصفر يقع في البطن عن مرض

أن نعتدي عليه ، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان ، فأحرج فطعن تسع طعنات ، فمات في الأولى منهنّ أو الثانية[١] .[٢]

وبعد موت عمرو بن الحمق الخزاعي لم يهنئ ويستقر لزياد ابن أبيه عيشه حتى يقضي على أصحاب حجر بن عدي .

وبدأت نوبة قبيصة[٣] بن ظُبيعة بن حَرملة العبسي .. ولولا تهاون قومُه معهُ وخوفهم من زياد لما تمكن زياد من قبيصة فكان هذا من جانب ومن جانبٍ آخر الخيانة والخديعة التي خدع بها قبيصة من صاحب الشرطة شداد بن الهيثم كما حدث بذلك المجالد عن الشعبي وزكريا بن أبي زائدة .. ثم الفتن القائمة في نفوس الخونة أعوان زياد ابن أبيه التي كانت تلاحق أصحاب حجر والأخيار منهم[٤] .. فلحقته الفتنة من قبل الوشاء قيس بن عباد الشيباني ونرى هنا الجهاد الأكبر الذي جاء في حقهِ الحديث الشريف أفضل الجهاد كلمةُ حقٍ عند سلطانٍ جائر .. ولم يتهاون صعي بن فسيل عن كلمة الحق وإن يكن الثمن حياته فلا يبالي .. فيا سبحان الله على تلك النفوس الكبيرة والرجال العظيمة وأي حب وولاء الذي كان عند حجر وأصحابهِ الكرماء .

---

(١) الأغاني ١٦ : ٥ ؛ وورد في آخره : وبعث برأسه إلى معاوية ؛ فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام .

(٢) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٦٥،٢٦٤ .

(٣) ترجمة قبيصة بن ضبيعة .

(٤) صعي بن فسيل

قال أبو مخنف : وحدثني المجالد ، عن الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق[٣] . قال : وجّه زياد في طلب أصحاب حُجر ، فأخذوا يهربُون منه ، ويأخذ من قدر عليه منهم . فبعث إلى قبيصة بن ضُبيعة بن حرْملة العبسيّ صاحب الشُّرْطة – وهو شدّاد بن الهيثم – فدعا قبيصة في قومه ، وأخذ سيفه . فأتاه ربعيّ بن خِراش بن جحْش العبسيّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشُّرْطة : أنت آمن على دمك ومالك ، فلمَ تقتل نفسك ؟ فقال له أصحابه : قد أومنت ، فعلام تقتل نفسك وتقتلنا معك ! قال : ويحكم ! إنّ هذا الدّعيّ ابن العاهرة ، والله لئن وقعتُ في يده لا أفلت منه أبدا أو يقتلني ؛ قالوا : كلاّ ، فوضع يده في أيديهم ، فأقبلوا به إلى زياد ، فلما دخلوا عليه قال زياد : وحيّ عبْس ، تعزّوني على الدّين ، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن تلقيح الفتن ، والتوثُّب على الأمراء ؛ قال : إني لم آتك إلا على الأمان ؛ قال : انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانيّ إلى زياد فقال له : إنّ امرأً منّا من بني همام يقال له : صيفيّ بن فسيل[١] من رءوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأتي به ، فقال له زياد : يا عدوّ الله ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ، قال :

---

(٣) في طبعة أخرى : " ابن إسحاق " .

(١) س . ف : " فسل " .

ما أعرفك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : بلى ، قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلاّ ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشِّرْطة : يقول لك الأمير : هو أبو تُراب ، وتقول أنت : لا ! قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضا مع ذنبك ! عليّ بالعصا ، فأتي بها ، فقال : ما قولك في عليّ ؟ ، قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله أقول في المؤمنين ، قال : إضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لزم الأرض ثمّ قال : اقلعوا عنه إيه ، ما قولُك في عليّ ؟[١] قال : والله لو شرّحتني بالمواس[٢] والمُدى ما قلتُ إلا ما سمعت[٣] منّي ؛ قال لتلعننّه أو لأضربنّ عنقك ، قال : إذا تضربها والله قبل ذلك ، [٤]فإن أبيت إلا أن تضربها رضيتُ بالله ، وشقيت أنت[٤] ؛ قال : ادفعوا في رقبته ، ثم قال : أوقروه حديدا ، وألقُوه في السجن .

ولرب سائل يسأل ما الذي جعل صفي بن فسيل يقف هذا الموقف ويتكلم بهذه الكلمات حيث قال لزياد والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعت مني .. هذا الإصرار

(١) الأغاني : " فيه " .
(٢) الأغاني : " بالمدى والمواس .
(٣) الأغاني : " ما زلت عما سمعت " .
(٤ـ ٤) الاغاني : " فأسعد وتشقى إن شاء الله " .

الرائع فيا ترى عن ماذا يكشف أيكشف عن الحب والمودة ام هو كاشف عن الفداء والتضحية .. نعم والله إنه رسوخ الإيمان والعقيدة الصادقة .. والإخلاص في الدين هو الذي يعطي الولاء والحب والفداء والتضحية ، وإنما موقف صيفي بن فسيل وكلمته كشف عن اعتقاده الصارم ، إن حب علي بن أبي طالب من الدين والتضحية والفداء ومجاهدة الظالمين المبغضين لأهل البيت ، ولحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من فروع الدين[١] فمن جنت الحب والولاء يمتلكون ذلك، والحب والولاء من الله يقذفهم في قلوب الناس لمن يشاء وكيف يشاء ومن جانب الدين فهو التكليف الشرعي المفترض على المسلم وذلك أيضا من الله .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائيّ – وكان شهد مع حجر وقاتلهم قتالا شديدا – فبعث إليه زياد بُكير بن حمران الأحمري وكان تبيع العمّال[٢] – فبعثه في أناس من أصحابه . فـقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عديّ بن حاتم ، فأخرجوه ، فلما أرادوا أن يذهبوا به – وكان عزيز النفس – امتنع منهم فحاربهم وقاتلهم ، فشجّوه ورموه بالحجارة حتى سقط ، فنادت مَيثاء أختُه : يا معشر طيّئ ، أتسلمون ابنَ خليفة لسانكم وسنانكم[٣]!

---

(١) يعني ذلك التولي والتبري : وهما موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله

(٢) تبيع العمال : أي تابع للعمال وفي خدمتهم .

(٣) الخبر الى هنا في الأغاني ١٦ : ٦ مع اختلاف في الرواية .

فلما سمع الأحمريّ نداءها خشي أن تجتمع طيّء فيهلك ، فهرج وخرج نسوة من طيّئ فأدخلته دارا ، وينطلق الأحمريّ حتى أتى زيادا ، فقال : إنّ طيّئا اجتمعتْ إليّ فلم أطقهم ، فنبتت ، فبعث زيادٌ إلى عديّ – وكان في المسجد – فحبسه وقال : جئني به – وقد أخبر عديّ بخبر عبد الله – فقال عديّ : كيف آتيك برجل قد قتله القوم ؟ قال : جئني حتى أرى أن قد قتلوه ، فاعتلّ له وقال : لا أدري

أين هو ، ولا أفعل ! فحبسه ، فلم يبق رجلٌ من أهل المصر من أهل اليمن وربيعة ومضر إلا فزع لعديّ ، فأتوا زيادا فكلّموه فيه ، وأُخرج عبد الله فتغيّب في بُحتُر ، فأرسل إلى عديّ ، إن شئت أن أخرج حتى أضع يدي في يدك فعلتُ ، فبعث إليه عديّ : والله لو كنت تحت قدميّ ما رفعتُها عنك . فدعا زياد عديّا ، فقال له : إني أخلّي سبيلك على أن تجعل لي لتنفيه من الكوفة ، ولتسير به إلى الجبلين ، قال : نعم ، فرجع وأرسل إلى عبد الله ابن خليفة : اخرج ، فلو قد سكن غضبه لكلّمته فيك حتى ترجع إن شاء الله ؛ فخرج إلى الجبلين[١] .

فلا مجال هنا للغرابة من موقف عدي ، مع صفي بن فسيل ، من زياد ابن أبيه لأن مثل هكذا موقف يعبر عن الدين واليقين وبأن نصرة علي بن أبي طالب ﷺ من صميم الدين

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ص٢٦٧،٢٦٨ .

فموقف عدي وموقف عبد الله بن خليفة الطائي وغيرهم ، من الأخيار دعمٌ للدين وموقف غيرهم من الرجال الذين كانوا رؤساء الأرباع[١] أمثال :عمرو بن حريث ، وخالد بن عرفطة . فهؤلاء شهدوا على حجر وأصحابه ووقفوا إلى جانب زياد ابن أبيه وأعانوه على إدانة حجر .. وأصحابه ، ونسوا أنهم بذلك قد أصبحوا أداةً للظالم في ظلمه .. وعونا للضال في ضلالته ، مما لا ينبغي للمؤمن إذا صح إيمانه وصدق يقينه أن يستعين بالظالمين أو أن يتخذ المضلين ﴿ **وما كنت متخذ المضلين عضدا** ﴾[٢] .

فتساندوا فيما بينهم على الاعتراف بإدانة حجر وأصحابه وعمدَ بعضٌ منهم بملازمة الطاعة للأمير زياد بن أبيه ظننا منهم أنهُ فوزٌ وسعادة ، بل هو الخسران المبين ، وكان زياد ابن أبيه متخذاً سبيل شهادة الشّهود لإدانة حجر وأصحابه ليبرأ نفسهُ من ظلم حجر وأصحابه أمام الملأ من المسلمين ، وذلك بأن رؤساء الأرباع شهدوا على حجر وأصحابه بالمعصية للخليفة وشق عصا المسلمين ومخالفة الجماعة .. لكن أنظر أيها القارئ العزيز إلى الشهادة والشاهد وكيف يدعو إليهما القرآن الكريم والنبي الأكرم وأهل البيت عليهم السلام من خلال أحاديثهم .

---

(١) رؤساء الأرباع . بمعنى رؤساء القبائل أو بمعنى الزعيم الذي له سلطة على مساحة من الأرض تعد ربع المدينة بمن يعيش عليها من الناس

(٢) سورة الكهف : الآية ٥١ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلو وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾[١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا أقرب للتقوى ﴾[٢] .

وكما قال الإمام علي عليه السلام القسط روح الشهادة[٣] .. كذلك بمعنى الشهادة ترتكز على العدل والقسط أساس الشهادة فلا يمكن لغير العادل أن يقيم الشهادة بل ظلمة يدفعه للإحاطة وإدانة غيره من الأبرياء ..

وكما يقول صلوات الله عليه وعلى اله الأطهار : إني عدل لا أشهد إلا على عدل[٤] .

وكذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : انى لا اشهد على جور[٥] ، فلا تقوم الشهادة إلا من عادل عند إمام عادل .. ومن أين نأتي بالعدل لزياد ابن أبيه وللذين شهدوا عنده بالباطل .

(١) سورة النساء : الاية ١٣٥ .

(٢) سورة المائدة الاية ٨ .

(٣) غرر الحكم .

(٤) كنز العمال : ح : ١٧٧٣٥

(٥) كنز العمال : ح : ١٧٧٣٤ .

وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يشير إلى المعنى الذي ذكر حيث قال من شهد شهادة حق ليُحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر يعرفه الخلائق باسمه ونسبه(١) .. فلم يكن عند الذين شهدوا على حجر وأصحابه شيء من هذا القبيل ولا من غيره .

﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾(٢) .

﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾(٣) .

والله عز وجل يطالب بإقامة الشهادة ليقام بها الحق ويسود العدل فيأخذ كلُ ذي حقٍ حقهُ .. أما كتم الشهادة والحال هنا واحد من حيث كتم الشهادة أو قول غير الحق والشهادة بالزور فكلاهما واحد وينتهي إلى نتيجة واحدة .

﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنهُ آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾(٤) .

ونلاحظ الذين شهدوا على حجر وأصحابه ، وأثبتوا قولهم عليهم بأنهم عصوا الأمير زياد ابن أبيه !! وفي ماذا يا ترى عصوه !!؟ بالاعتداء على حقوق المسلمين أم بالإساءة لهم !!؟ أم هو ذاك الأمير العادل الذي لا يجب التطاول عليه !!..

(١) بحار الأنوار : ج١٠٤ ص٣١١ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٢ .

(٣) سورة المعارج : الآية ٣٣ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

كلا .. فالشهود إنما شاركوا زياد ابن أبيه في عمله بشهادتهم وقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد ذلك .

قال : من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم او ليفري بها مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه(١) .

فسيأتون أولئك الشهود الذين ظلموا حجرا وأصحابه مغبرة مسودة وجوههم يوم القيامة .

((وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كتمها أي الشهادة أطعمة الله لحمة على رؤوس الخلائق وهو قول الله عز وجل ﴿ **ولا تكتموا الشهادة** ﴾(٢))).

وعمد زياد ابن أبيه إلى جلب كريم بن عفيف الخثعمي وكان يضمنهُ من خرج عن طاعته .. وسرعان ما أوضح له كريم بن عفيف الخثعمي أنه على طاعته وولائه .. كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه .

وأتى زياد بكريم بن عفيف الخثعميّ قال : ما اسمك ؟ قال : كريم بن عفيف ؛ قال : ويْحك ، أو ويلك ! ما أحسن اسمك واسم أبيك ، وأسوأ عملك ورأيك ! قال : أما والله إنّ عهدك برأيي لمنذ قريب ، ثم بعث زياد إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثني عشر

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٤ ـ ص٣١١

(٢) بحار الأنوار ج١٠٤ ص٣١٠

رجلا في السجن . ثم إنه دعا رءوس الأرباع ، فقال : اشهدوا على حُجْر بما رأيتم منه – وكان رءوس الأرباع يومئذ : عمرو بن حُريث على رُبْع أهل المدينة ، وخالد بن عُرْفطة على ربع تميم وهمْدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على رُبع ربيعة وكِنْدة ، وأبو بُرْدة بن أبي موسى على مذحج وأسد – فشهد هؤلاء الأربعة أنّ حُجْرا جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين ، وأظهر عذر أبي تراب والترحّم عليه، والبراءة من عدوّه وأهل حربه ، وأنّ هؤلاء النفر الذين معه هم رءوس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره . ثم أمر بهم ليخرجوا . فأتاه قيس بن الوليد فقال : إنه قد بلغني أنّ هؤلاء إذا خرج بهم عُرض لهم . فبعث زياد إلى الكُناسة فابتاع إبلا صِعابا ، فشدّ عليها المَحامل ، ثم حملهم عليها في الرّحبة أوّل النهار ، حتى إذا كان العشاء قال زياد : مَن شاء فليعرض ، فلم يتحرك من الناس أحد ، ونظر زياد في شهادة الشهود فقال : ما أظنّ هذه الشهادة قاطعة ، وإني لأحبّ أن يكون الشهود أكثر من أربعة(١) .(٢)

---

(١) الأغاني ١٦ : ٧ (ساسي)

(٢) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٦٨ .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن حصيرة ، عن أبي الكنود وهو عبد الرحمن بن عبيد وأبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبي راشد ، عن أبي الكنود بأسماء هؤلاء الشهود :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربّ العالمين ؛ شهد أنّ حُجر بن عديّ خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاويه ، وكفر بالله عزّ وجلّ كفرة صلعاء[١].

فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق ، فشهد رءوس الأرباع الثلاثة الاخرون [٢] على مثل شهادته - وكانوا أربعة - ثم إنّ زيادا دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل شهادة رءوس الأرباع . فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أول الناس عناق بن شرحبيل بن أبي دهم التيميّ تيم الله بن ثعلبة ، فقال : بيّنوا اسمي ، فقال زياد : ابدءوا بأسامي قريش ، ثمّ اكتبوا اسم عناق في الشهود ، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة .

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٢٦٨،٢٦٩ ، كذلك صلعاء : اي عارية عن التقوى والحسنة
(٢) من الأعلى

فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعمارة ابن عُقْبة بن أبي مُعيْط، وعبد الرحمن بن هنّاد ، وعمر بن سعد ابن أبي وقّاص ، وعامر بن مسعود بن أميّة بن خلف ، ومحرز ابن جارية بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس، وعبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرميّ ، وعناق بن شرحبيل بن أبي دهم ، ووائل بن حُجْر الحضرميّ ، وكثير بن شهاب بن حصين الحارثيّ ، وقطن بن عبد الله بن حُصين ، والسريّ بن وقّاص الحارثيّ . وكتب شهادته وهو غائب في عمله !! ، والسائب بن الأقرع الثقفيّ ، وشبث[1] بن ربعيّ ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفيّ ، ومصقلة بن هبيرة الشيبانيّ ، والقعقاع بن شور الذهليّ ، وشدّاد بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهليّ – وكان يدعى ابن بُزيعة ، فقال ما لهذا أبٌ ينسب إليه ! ألقوا هذا من الشهود . فقيل له : إنه أخو الحضين ، وهو ابن المنذر . قال : فانسبوه إلى أبيه ، فنُسب إلى أبيه، فبلغتْ شدّادا . فقال : ويلي على ابن الزانية ! أوليست أمّه أعرف من أبيه ! والله ما ينسب إلاّ إلى أمّه سميّة . وحجّار بن أبجر العجليّ فغضبت ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم : شهدتم على أوليائنا وحلفائنا ! فقالوا : ما نحن إلا من الناس ، وقد شهد عليهم ناس من قومهم

(١) كذا في الأغاني ، وفي ط : « شبيب » .

كثير - وعمرو بن الحجاج الزبيديّ ولبيد بن عطارد التميميّ ، ومحمد بن عمير بن عطارد التميميّ ، وسويد بن عبد الرحمن التميميّ من بني سعد ، وأسماء بن خارجة الفزاريّ كان يعتذر من أمره - وشمر بن ذي الجوشن العامريّ ، وشدّاد ومروان ابنا الهيثم الهلاليّان ، ومحفّز بن ثعلبة من عائذة قريش ، والهيثم بن الأسود النخعيّ - وكان يعتذر إليهم - وعبد الرحمن بن قيس الأسديّ ، والحارث وشداد ابنا الأزمع الهمْدانيّان ، ثم الوادعيّان ، وكريب بن سلمة بن يزيد الجعفيّ ، وعبد الرحمن بن أبي سبْرة الجعفيّ ، وزحْر بن قيس الجُعفيّ ، وقدامة بن العجْلان الأزديّ وعزْرة الأحمسيّ - ودعا المختار بن أبي عُبيد وعُروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدوا عليه ، فراغا - وعمر بن قيس ذي اللحية وهانئ بن أبي حية الوادعيّان(١) .

فشهد عليه سبعون رجلا ، فقال زياد : ألقُوهم إلا من قد عُرف بحسب وصلاح في دينه ، فألقُوا حتى صُيّرُوا إلى هذه العدّة ، وألقيتُ شهادة عبد الله بن الحجاج الثعلبيّ ، وكتبتُ شهادة هؤلاء الشهود في صحيفة ، ثم دفعها إلى وائل بن حُجْر الحضرميّ وكثير بن شهاب الحارثيّ ، وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجا بهم . وكتب في الشهود شُريح بن الحارث القاضي وشُريح بن هانئ الحارثيّ ؛ فأما شريح فقال : سألني عنه ، فأخبرتُه أنه كان

(١) . ت الطبري ج٥ ـ ص٢٧٠ .

صوّاماً قوّاماً ، وأما شريح بن هانئ الحارثيّ فكان يقول ما شهدتُ ، ولقد بلغني أن قد كتبتْ شهادتي ، فأكذبته ولمته ، وجاء وائل بن حُجْر وكثير بن شهاب فأخرج القوم عشيّة ، وسار معهم صاحبُ الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة[١] .

فلما انتهوا إلى جبّانة عرْزَم[٢] نظر قبيصة بن ضبيعة العبسيّ إلى داره وهي في جبّانة عرزم ، فإذا بناته مشرفات ، فقال لوائل وكثير : ائذنا لي فأوصي أهلي ، فأذنا له ، فلمّا دنا منهنّ وهنّ يبكين ، سكت عنهنّ ساعة ثم قال : اسكتْن ؛ فسكتن ، فقال : اتّقين الله عزّ وجلّ ، واصبرن ، فإني أرجو من ربيّ في وجهي هذا إحدى الحُسْنَيين : أمّا الشهادة ، وهي السعادة ؛ وإمّا الإنصراف إليكنّ في عافية ، وإن الذي كان يرزُقكنّ ويكفيني مُؤنتكُنّ هو الله تعالى - وهو حيّ لا يموت - أرجو ألاّ يضيّعكنّ وأن يحفظني فيكنّ ثم انصرف فمرّ بقومه ، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية ، فقال : إنه لممّا يعدل عندي خطر ما أنا فيه هلاكُ قومي . يقول : حيث لا ينصرونني ، وكان رجا أن يتخلّصوه[٣] .

فعجباً لأولئك الناس الذين تظاهروا بالود والمحبة ودعوا لقبيصة بالعافية، وما الود والمحبة إلا بالنصرة والمازرة ..

---

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٤٠ .

(٢) الأغاني ١٧ : ١٤٥ : "عرزم" .

(٣) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧١،٢٧٠ .

﴿ وما دعاؤ الكافرين إلا فى ضلال ﴾(١) .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح العبسيّ ، عن عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، قال : والله إني لواقف عند باب السريّ بن أبي وقاص حيث مرّوا بحُجر وأصحابه ، قال : فقلت : ألا عشرة رهط استنقذ بهم هؤلاء ! ألا خمسة ! قال : فجعل يتلهّف ، قال : فلم يجبني أحدٌ من الناس ؛ قال : فمضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغريّيْنِ ، فلحقهم شريح بن هانئ معه كتاب ، فقال لكثير : بلّغ كتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، قال : ما فيه ؟ قال : لا تسألني فيه حاجتي ، فأبى كثير وقال : ما أحبّ أن آتي أمير المؤمنين بكتاب لا أدري ما فيه ، وعسى ألاّ يوافقه ! فأتى به وائل بن حُجْر فقبله منه . ثم مضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى مرْج عذراء ، وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً(٢) .

وكان زياد ابن أبيه قد بعث بحجر وأصحابه إلى معاوية ، وكانوا اثنا عشر رجلاً فقتل منهم ستة أشخاص وحجر ، وابنهُ همام ، وكان غلاماً فكانت عدتُهم ثمانيةُ أشخاص قتلوا فى مرج عذراء بعد حبسهم لمدة من الزمن .

---

(١) سورة الرعد : الآيه ١٤ .

(٢) تاريخ الطبري ، ج٥ ــ ص٢٧١ .

الفصل الخامس

تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حُجر بن عديّ بن جبلة الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ من بني الأرقم ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسيّ ، وكريم بن عفيف الخثعميّ ، من بني عامر بن شهران ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البجليّ ، وورقاء بن سُميّ البجليّ ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العنزيّان من بني هُميم ومحرز بن شهاب التميميّ من بني منقّر ، وعبد الله بن حويّة السعديّ من بني تميم . فمضَوا بهم حتى نزلوا مرْج عذراء ، فحُبسوا بها . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين مع عامر بن الأسود العجليّ : بعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر بن هوازن ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ ثم الناعطيّ ، فتمّموا أربعة عشر رجلاً ، فبعث معاوية

إلى وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأدخلهما ، وفض كتابهم ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سُفيان . أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بغى عليه . إن طواغيتا من هذه التُّرابيّة[1] السبئيّة ، رأسهم حُجْر بن عديّ خالفوا أمير المؤمنين ، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرنا الله عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي السنّ والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا .

فلما قرأ الكتاب وشهادة الشهود عليهم ، قال : ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تستمعون ؟ فقال له يزيد بن أسد البجليّ : أرى أن تفرّقهم في قُرى الشام فيكفيكهم طواغيتُها[2] .

ودفع وائل بن حُجر كتاب شُريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه:

---

(١) الترابية ، أي المنتسبون إلى أبي تراب ، كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(٢) تاريخ الطبري . ج٥ ـ ص٢٧١،٢٧٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد ؛ فإنه بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر بن عديّ ، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويديم الحج ، والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدم والمال . فإن شئت فاقتله ، وإن شئت فدعْه . فقرأ كتابه على وائل بن حُجْر وكثير ، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم[1] .

أقول: رحم الله امرئ جب الغيبة عن نفسه وها هو شريح بن هانئ لم يدع الحق يفوته ولم يترك شهادة الحق وقول الحق في حجر ولم يكتم الشهادة التي هي لله .. إنما شهد بالحق الذي يرضي الله .. وعمل بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس :

أما أنت يا ابن عباس فلا تشهد إلا على أمر يُضيء لك كضياء هذه الشمس[2] .. وكذلك قول الصادق عليه السلام لا تشهدن بشهادة حتى تعرفها كما تعرف كفك[3] .

وأيضا قوله صلى الله عليه وآله : وقد سئل عن الشهادة فقال : هل ترى الشمس ؟ على مثلها فاشهد أو دع .

---

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧٢ .

(٢) كنز العمال : خ : ١٧٧٤٨ / ح : ١٧٧٥٣ عن علي عليه السلام

(٣) وسائل الشيعة : ج١٨ ــ ص٢٥٠ .

فحبس القوم بمرج عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد : أما بعد ، فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه ، وشهادة من قبلك عليهم ، فنظرت في ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام[١] .

هذا الذي أضاع الحق واتبع هواه فلا يدري أين هو الصواب فلو كان يريد الصواب لاتبعه لكنه عن الصواب والهدى لأبعد وأبعد .. وكأنما أرواح الناس الأبرياء ملك يمينه يتصرف فيها كيف يشاء فهو متردد بين قتلهم أو العفو عنهم .. فلو ظن معاوية بفعل حجر وأصحابه فعل خطيئة وإساءة !! .. لكان فكر فقط بالعفو أو الحبس أو العقوبة التي هي دون القتل !.. لكن لا الأمر أكبر من ذاك هناك حب علي بن أبي طالب والبيعة الصادقة له والولاء المطلق .. فكيف يحتمل ذلك معاوية أو يصبر عليه !.. بل عده جرم كبير يستحق القتل عليه كل من كان يحمله أو يعتنقه وبالطبع من كان عدوه علي بن أبي طالب فكيف يعفو أو يصفح عن من كان يواليه ويفديه بنفسه .. أمثال حجر وأصحابه .

ونسي معاوية أو تناسى قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي ابن أبي طالب عليه الصلاة والسلام أنا حربٌ لمن حاربك وسلم

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٢٧٢،٢٧٣

لمن سالمك[١] وقوله اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله[٢] .

ومن أين يأتي معاوية بالرشد والصواب حتى يعفوا عن حجر وأصحابه وقد ملئ حقدا وغيظا من قرنه إلى أسفله على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه وأصحابه وشيعته ومواليه .. وما هو عن أبيه ببعيد ذلك الذي كان يقول تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة بيد الصبية فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل .. فعدها أبو سفيان وبنيه فرصةً للملكية ، ليحرص كلٌ منهم على اعتناقها واقتناها وهم طلقاء . ولولا إطلاق سراحهم من قبل الرسول الأكرم في فتح مكة لما قامت لهم قائمة .. وها هو زياد ابن أبيه يحرص كل الحرص على الفتك بحجر وأصحابه وقتلهم شر قتلة كما قال وتقدم ذكر قوله لأحرصن على قطع خيط عنقه .. ولا يحثُ معاوية على قتل حجر وأصحابه مستندا على شهداء الزور الذين شهدوا فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجيّة بن ربيعة التيمي : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك في حُجر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت

(١) أحمد ونحو

(٢) مجمع الزوائد

من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجرا وأصحابه إلي[1] .

يا له من دهاء !!.. قد ربط مصلحة البلاد والبلد الذي يعيش فيه زياد وبالذات بعدم رجوع حجر وأصحابه يعني بإطلاق سراحهم يكون رجوعهم .. ولا يمكن استمرار مصالحهم بوجود حجر وأصحابه وكانت مصلحتهم الكبرى وحاجتهم القصوى هي محاربة علي بن أبي طالب وشتمه وارجاع الناس عن بيعته .. وإن حاربوا علي بن أبي طالب فقد حاربوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حارب رسول الله فقد حارب الله .. فإن علي بن أبي طالب هو نفس الرسول بنص القرآن . في قوله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكذبين** ﴾[2] وقد أجمع حفاظ المسلمين في صحاحهم وائمة المسلمين في كتبهم على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج إلى مباهلة نصارى نجران أخرج معه علي وفاطمة والحسن والحسين ولم يخرج غيرهم . فكانوا أبناؤه ونساءه ونفسه .

فلما خرجوا من مجلس معاوية .. آمر بإخراجهم إلى زياد فقام زياد بإخراجهم إلى مرج عذراء وقد أمر عليهم بريد بن

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ص٢٧٣

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦١

الحجية فأقبل يزيد بن حُجيّة حتى مرّ بهم بعذراء . فقال : يا هؤلاء ، أما والله ما أرى براءتكم . ولقد جئت بكتاب فيه الذبح . فمرُوني بما أحببتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وانطق به . فقال حُجر : أبلغ معاوية أنّا على بيعتنا ، لا نستقيلها ولا نقيلها ، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظنّاء . فقدم يزيد بالكتاب إلى معاوية فقرأه ، وبلّغه يزيد مقالة حُجَر ؛ فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حُجّر ؛ فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيّ - ويقال : عثمان بن عمير الثقفيّ : جذاذها جذاذها[١] ؛ فقال له معاوية : لا تعنّ أبْراً[٢] . فخرج أهلُ الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أمّ الحكم ، فقال النّعمان : قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسود العجليّ وهو بعذراء يريد معاوية ليُعلمه علم الرجلين اللّذين بعث بهما زياد ، فلما ولّى ليمضي قام إليه حُجر بن عديّ يرسُف في القيود ، فقال : يا عامر ، اسمع مني ، ابلغ معاويه انّ دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومِنّا وصالحناه ، فليتق الله ، ولينظر في أمرنا . فقال له نحواً من هذا الكلام ، فأعاد عليه حُجر مراراً ، فكان الآخر عرّض ، فقال قد فهمت لك أكثرت، فقال له حُجر :

(١) الجذاذ بالفتح : فصل الشيء عن الشيء . والجذاذ بالضم : المقطع والمكسر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم ﴾ .

(٢) يريد : لا تتجشم إصلاحاً . والأبر : إصلاح النخل

ابى ما سمعت بعيب ، وعلى أية تلوم ! انك واالله تحنى وتعضى ، وان خحرا يقدم ويقتل ، فلا ألومك أن تستثقل كلامى . اذهب عنك ، فكأنه استحيا ، فقال : لا واالله ما ذلك بى . ولأبلغن ولأجهدنّ ، وكأنه يزعم أنه قد فعل ، وأنّ الآخر أبى[١] .

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرّجلين . قال : وقام يزيد بن أسد البجليّ فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى ابنىْ عمّي – وقد كان جرير بن عبد االله كتب فيهما : إنّ امرأيْن من قومى من أهل الجماعة والرأي الحسن ، سعى بهما ساع ظنين إلى زياد ، فبعث بهما في النّفر الكوفيّين الذين وجّه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يُحدث حدثاً فى الإسلام ولا بغياً على الخليفة ، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين – فلما سألهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير ، فقال : قد كتب إليّ ابنُ عمّك فيهما جرير ، محسنا عليهما الثناء ، وهو أهلٌ أن يصدّق قوله ، وتقبل نصيحته ، وقد سألتنى ابنىْ عمك ، فهُما لك . وطلب وائل بن حُجْر فى الأرقم فتركه له ، وطلب أبو الأعور السّلميّ فى عُتبة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حُمرة[٢] بن مالك الهمْدانيّ فى سعيد بن

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٣،٢٧٤ .
(٢) الاغانى : " حمزة " .

نمران الهمْدانيّ فوهبه له ، وكلّمه حبيب بن مسلمة في ابن حوية ، فخلّى سبيله[١] .

وها هم الستة[٢] أنفار يستنقذهم أرحامُهم وذووهم وأصحابهم من أيدي الطاغية ، ولم يكن هناك لحجر وصحبه الأخيار شفيع ، يشفع .. وما يصنعون بالشفاعة عند معاوية .. فما أعد لهم خيرٌ وأبقى ولشفاعة أميرُ المؤمنين عند الله لهم يوم القيامة لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم أعلى وأشرف لهم .

وقام ملك بن هُبيرة السّكونيّ ، فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، دَعْ لي ابن عميّ حُجْرا ، فقال : إنّ ابن عمّك حُجر رأس القوم ، وأخاف إنْ خلّيت سبيله أن يُفسد عليّ مصري ، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فقال له : والله ما أنصفتني يا معاوية ، قاتلتُ معك ابن عمك فتلقاني منهم يومٌ كيومِ صفّين ، حتى ظفرتْ كفّك ، وعلا كعبُك ، ولم تخف الدوائر ، ثم سألتُك ابنَ عمي فسطوت وبسطت[٣] من القول بما[٤] لا أنتفع به ؛ وتخوّفت فيما زعمت عاقبة الدوائر ! ثم انصرف

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧٤ .

(٢) الستة أنفار هم : أبناء عم يزيد بن أسد البجلي ، وهما نفران والثالث هو الأرقم الذي طلبه وائل بن حجر ، والرابع عتبة بن الأخنس والخامس سعد بن نمران الهمداني والسادس هو ابن حوية .

(٣) س : وتبسطت .

(٤) س : فيما .

فجلس فى بيته فبعث معاويةُ هُدبةَ بن فيّاض القُضاعيَ من بنى سلامان بن سعد والحُصين بن عبد الله الكلابيَ وابا شريف البدّيَ ، فاتوْهم عند المساء ، فقال الخثعميَ حيث رأى الأعور مقبلا : يُقتل نصفُنا وينجو نصفُنا ، فقال سعيد بن نمران : اللهمَ اجعلني ممَن ينجو وأنت عنى راض ؛ فقال عبد الرحمن بن حسان العنزيَ : اللهمَ اجعلني ممَنْ يُكْرِمُ بهوانهم وأنت عنّى راض ؛ فطالما عرّتُ نفسي للقتل ، فأبى الله إلا ما أراه !

الفصل السادس

التشبث بالدنيا أم الرغبة في الآخرة ؟

وجاء رسول معاوية إليهم بتحلية ستة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فابرءوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم ، قالوا : اللهمّ إنّا لسنا فاعلى[1] ذلك . فأمر بقبورهم فحفرتْ ، وأدنيتْ أكفانُهم ، وقاموا الليل كلّه يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أوّل من جار في الحكم ، وعمل بغير الحق ؛ فقال أصحاب معاوية : أميرُ المؤمنين كان أعلم بكم ؛ ثم قاموا إليهم

(١) مر فاعلين .

فقالوا : تبرءون من هذا الرجل ! قالوا : بلى نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه ؛ فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله ، ووقع قبيصة بن ضبيعه في يدي أبي شريف البديّ ، فقال له قبيصة : إنّ الشرّ بين قومي وقومك[١] أمن؛ فليقتلني سواك ؛ فقال له : برّتك رحم ! فأخذ الحضرميّ فقتله ، وقتل القضاعيّ قبيصة بن ضبيعة[٢] .

وما كان لمعاوية أن يتسامح في قتل حجر وأصحابه .. خشية أن تتقلب الأمور عليه ويخسر جانبا من السلطة على أحد الأمصار .. وما ذلك إلا لتثبته بالدنيا الدنية .. وما معاوية والآخرة فهو بعيدٌ عنها بعد السماء عن الأرض .. كما كان بعيدا عن الإسلام وما عرف الإسلام لشيء ولا عرفه الإسلام بشيء ، ومن قال فيه النبي صلى الله عليه وآله لا أشبع الله له بطنا فكيف يجعله كاتبا للوحي !! وما يصنع النبي صلى الله عليه وآله بمن معه العارفين بالقراءة والكتابة مثل عبد الله بن عمر بن العاص والإمام علي ابن أبي طالب .. وحيث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقر وأجاز لعبد الله بن عمر بكتابة وتدوين الحديث علما أن ذلك كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن نعلم من كتب السير ومن صحاح المسلمين أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب من أسرى قريش في معركة بدر التي هي أول فتح للمسلمين .. أن يعلم كل

---

(١) في م .. وفي ط : وبين قومك .

(٢) [illegible] ج ٢ ص ٢٧٤،٢٧٥

أسير من مشركي قريش يعرف القراءة والكتابة يُعلم عشرا من المسلمين مقابل إطلاق سراحه .. وهذه بدر وبينها وبين فتح مكة ستة سنوات على أغلب الروايات حيث .. أن وقعة بدر الكبرى في السابع والعشرين من شهر رمضان للسنة الثانية للهجرة . وفتح مكة كان في السنة الثامنة للهجرة(١) .. وفي فتح مكة أسلم أبو سفيان ومن كان معهُ قهراً لا رغبةً ، وتلك القصة المعروفة مع العباس ابن عبد المطلب .. لما وصل إلى مكة . وقد تم استكمال الجيش .. ذهب إلى أبي سفيان وكانا على صحبة في الجاهلية .. فألح العباس على أبي سفيان .. قال له أني حفظت الصداقة ودفعتني الصحبة لتنجو أنت ومن معك .. فها هو النبيُ قد أقبل بعشرة الاف مقاتل فما أنت صانع ؟ الأولى لك ان تُسلم .. فألح عليه وجاءَ بهِ يجرهُ خلفهِ فما انتهيا إلى النبي وكان مطرقا صلوات الله تعالى عليه وعلى آله .. فرفع النبي رأسهُ إلى أبي سفيان قائلا أما آن لك أن تسلم يا أبا سفيان .. فقال رادا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أما قولي بأن الله لواحدٌ فهو واحد .. وأما قولي بأنك رسوله .. فهذهِ لفي شكٍ منها ، وإذا بالعباس بن عبد المطلب يوكزهُ بالسيف .. قال له أسلم يا مارق قبل أن تأخذك السيوف فقال أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله - وهذا اللفظ فيه فارق حيث أن الداخل في الإسلام يلفظ الشهادتين من دون كلمة (أنك)

(١) نور الأبصار للشلبنجي : ص٧٢،٧١،٧٠ .

فيجب أن نقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .. أما قول أنك تعبير عن رد الادعاء الصادر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أن المعنى المفهوم والمأخوذ من صياغة الشهادتين اللتين لفظهما أبو سفيان تدلان على .. أنك أنت يا محمد تدعي الرسالة والنبوة وإن إنا وافقتك على ما أنت تقول فهذا خطاب المسلم لنا على ما أنت تقول !!! فهذا خطاب المستسلم لا خطاب المقتنع الراغب وهناك فرق كبير فتأمل . وكان أبو سفيان وزوجه هند وبنيه من الطلقاء ، الذين أطلق سراحهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة فتح مكة .. التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(١) فأين الدين من معاوية وأين الإسلام وأين تعاليم الإسلام وأحكامه .. ويرد على كتاب يزيد بن الحُجية ، فيقول زياد أصدق عندنا من حجر .. وخصوصاً بعد ما أبلغه يزيد بنُ الحُجية مقالةَ حجر حيث قال : أبلغ معاوية أنا على بيعتنا ، لا نستقيلها ولا نقيلها . فكان قراره بقتل حجر ومن معه كاشفا عن حقده وبغضه على من حمل الدين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن والاه .

قال : ثم إنّ حُجرا قال لهم : دعوني أتوضأ ، قالوا له : توضأ ، فلما أن توضّأ قال لهم : دعوني أصلّ ركعتين فأيْم الله ما توضأت قطّ إلا صليّت ركعتين ، قالوا : لتُصلّ ؛ فصلّى ، ثم

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن استكثر منها . ثم قال : اللهمّ إنا نستعديك على أمّتنا ، فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين نبحتْه كلابها . فمشى إليه الأعور[1] هُدبة بن فياض بالسيف ، فأرعدت خصائله[2] ، فقال : كلاّ . زعمت أنك لا تجزع من الموت ؛ فأنا أدَعك فأبرأ من صاحبك ، فقال : ما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً ؛ وإني والله إنْ جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرّب . فقتله ؛ وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسّان العنزي وكريم بن عفيف الخثعميّ : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرّجل مثل مقالته ؛ فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهما ، فبعث إليهم أن ائتوني بهما[3] .[4]

---

(١) أنظر الأغاني ١٧ : ١٥١ .

(٢) الخصائل : جمع خصيلة ؛ وهي كل عصبة فيها لحم عظيم . قال جرير :

برهز رهزا يرعذ الخصائلا

(٣) بعدها في الأغاني : " فالتفت إلى حجر ؛ فقال له العنزي : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مثواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمي نحو ذلك . ثم مضي بهما ، فالتفت العنزي فقال متمثلاً :

كفى بشفاة القبر بُعْدا لهالكٍ وبالموت قطّاعا لحبل القرائن

(٤) تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٥،٢٧٦ .

فلما دخلا عليه قال الخثعميّ : الله الله يـا معاويـة ، فإنـك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسـئول عمّا أردت بقتلنا ، وفيمَ سفكت دماءنا ؛ فقال معاوية : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال: أتبرأ من دين عليّ الذي كـان يدينُ الله به ؟ فسكت ، وكره معاوية أن يجيبه(١) .

وأنظر أيها القارئ العزيز إلى هذا الموقف وسكوت الخثعمي فإنه والعنزي ما كرها الموت وبالخصوص عبد الرحمن بن حسان العنزي ، إنما لكي يُسمعاه بعض النصح والتذكير فـي الآخـرة ، ولكن هيهات أن يسمعَ الصمُ الدعاء ، وما أروع موقف الخثعمـي حينما سأله معاوية أتبرأ من دين على الذي كان يـدينُ الله بـه ؟ فسكت بمعنى إذا أنا سببت او شتمت على بن أبى طالـب أخـرج من دين الإسلام ، فلذلك سكت معاوية وكره أن يجيبـه ، .. وأمـا قولُ الخثعمي لمعاوية : أقولُ فيه قولك ، إنما هى المسـايرة فـي الكلام لتهدأة الحال ، وبالفعل شفع له ابن عمه شمر بـن عبـد الله من بنى قحافة ، كما ذكرهُ الطبري في تاريخه .

وقام شمر بن عبد الله بن قحافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى ابن عمّي ؛ قال : هو لك ؛ غير أنى حابسه شهرًا ، فكـان يرسل إليه بين كلّ يومين فيكلمه ، وقال له : إنى لأنفس بك علـى العراق أن يكون فيهم مثلك .

---

(١) . تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٦ .

ثمّ إنّ شمرا عاوده فيه الكلام ؛ فقال : نوافق على هبة ابن عمك . فدعاه فخلّى سبيله على ألاّ يدخل الى الكوفة ما كان له سلطان ، فقال : تخيّر أيّ بلاد العرب أحبّ اليك أن أسيرك لنبها . فاختار الموصل ، فكان يقول : لو قد مات معاويه قدمت للمصر . فمات قبل معاوية بشهر[1] .

ومات الخثعمي غريبا مشردا بعيدا عن اهله غير انه لم يخسر الشهادة وإن لم يقتل فقد ورد في الحديث الشريف من مات على محبة آل محمد مات شهيدا ، وكيف لمن يموت غريب عن وطنه بسبب محبة علي وولايته لا يعطى الشهادة وأجرها ، بل له كما كان لصحبه من الأجر والفضل ، وعد كريم بن عفيف الخثعمي من الثمانية الذين قتلهم معاوية ، غير انه لم يدفن معهم في مرج عذراء .. كما دفن عبد الرحمن بن حسان العنزي حيا من قبل زياد ابن أبيه لعنهم الله جميعا ، كما ذكر ذلك في انساب الأشراف .

أما عبد الرحمن بن حسان العنزي فقال له معاويه : ما تقول في على قال : كان من الذاكرين كثيرا والامرين بالحق سرا وجهرا فلا تسألني عن غير هذا فهو خير لك فبعث به الى زياد وكتب إليه أن أقتله شر قتلة فبعث به إلى قس الناطف فدفن حيا .

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٦ .

ثم اقبل على عبد الرحمن العنزيّ فقال : ايه يا اخا ربيعه ! ما قولك في عليّ ؟ قال : دعني ولا تسألني فإنه خير لك ؛ قال : والله لا أدعك حتى تخبرني عنه ؛ قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا ، ومن الآمرين بالحقّ ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس ؛ قال : فما قولك في عثمان؟ قال : هو أول من فتح باب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ ؛ قال : قتلت نفسك ؛ قال : بل إيّاك قتلتُ ؛ ولا ربيعة بالوادي – يقول حين كلّم شمر الخثعميّ في كريم بن عفيف الخثعميّ ، ولم يكن له أحدٌ من قومه يكلّمه فيه – فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب اليه : أما بعد ، فإنّ هذا العنزيّ شرّ من بعثت ، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها ، واقتله شرّ قتلة . فلما قدم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ الناطف ، فدفن به حيًا .

قال : ولما حُمل العنزيّ والخثعميّ إلى معاوية قال العنزي لحُجْر : يا حُجْر ، لا يبعدنك الله ، فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعميّ : لا تَبْعدْ ولا تُفقَد ، فقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم ذهب بهما وأتبعهما بصره ، وقال : كفى بالموت قطّاعا لحبل القرائن ! فذهب بعُتبة بن الأخنس وسعيد بن نمران بعد حُجْر بأيام ، فخلّى سبيلهما[1] .[2]

(١) الأغاني : ١٦ – ٩ (ساسي) .

(٢) تاريخ الطبري . ج٥ ـ ص٢٧٦،٢٧٧ .

ولم يكن عبد الرحمن العنزي مهتماً بموقعه من معاوية ولا متأثراً بموقف معاوية منه وما اتخذ في حقه من قرار في قتله شر قتلة لذلك ترى أيها القارئ العزيز كلامه وثباته للحق في الإمام علي وعثمان بن عفان ، وقد ذكر الطبري أسماء من قتل مع حجر بن عدي في مرج عذراء .

ولو كان معاوية يحمل شيئاً من الإسلام لعفى عن رجال أوقفهم الحق موقف المخلصين ، وصبروا على محبة علي أمير المؤمنين وما كانت محبة أمير المؤمنين بجرم يرتكبه المسلمون ولا بيعته كفرٌ إن اعتنقها المسلمون ، وناهيك عن كونه أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين والخليفة المنصوص عليه من قبل رب العالمين ، والولي الذي لا يكتمل الإيمان إلا بولايته فهو الخليفة الرابع للمسلمين ، بعد خلافة أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، والذي جعلهُ خليفة رابعاً ، لم يكن يرضاها إلا بكتاب الله وسنة نبيه !!! حيث بعد موت أبو بكر عرضت عليه عرضا شكليا ، أن يكون خليفة للمسلمين بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر فرفض !! وهكذا بعد موت عمر بن الخطاب عرضت عليه بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين فرفض صلوات الله تعالى عليه إلا بكتاب الله وسنة نبيه فقط !!! فتأمل .

وممن نجى من أصحاب حجر ولم يصبهم القتل والذي اعتمدهم على النجاة شفاعة ذويهم وأرحامهم عند معاوية وقد ذكر الطبري أسماء من نجى منهم .

تسمية من نجا منهم :

كريم بن عفيف الخثعميّ ، وعبد الله بن حويّة التميميّ ، وعاصم بن عوف البجليّ ، وورقاء بن سُميّ البجليّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْديّ ، وعتبة بن الأخنس ، من بني سعيد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ فهم سبعة[١] .

هذه أسماءُ من نجى من أصحاب حجر ، وأطلق سراحهم .

غير أن الحمية والرحم تحركت في بني كندة لأجل حجر بن عدي وعزموا على أن يخلصوه مهما كلف الأمر والله ما ذلك لكونه منهم ، أو لكونهم عشيرته وقومه فحسب ، بل لكونه كان صحابيا جليلا القدر كبير الشأن بين قومه وعشيرته فقد كان فاضلاً ناسكا معتمرا حجاجا متهجدا .

وقال مالك بن هُبيرة السكوني حين أبى معاوية أن يهب له حُجرا وقد اجتمع إليه قومُه من كندة والسّكون وناس من اليمن كثير ، فقال : والله لنحن أغنى عن معاوية من معاويةَ عنّا ، وإنّا لنجد في قومه منه بدلاً ، ولا يجد منّا في الناس خلفا ، سيروا إلى هذا الرجل فلنخلّه من أيديهم ؛ فأقبلوا يسيرون ولم يشكّوا أنهم

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧٧،٢٧٨ .

بعذراء لم يقتلوا ، فاستقبلتهم قتلتهم قد خرجوا منها ، فلما رأوه في الناس ظنوا أنما جاء بهم ليخلص حجرا من أيديهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قال : تاب القوم ، وجئنا لنخبر معاوية . فسكت عنهم ، ومضى نحو عذراء ، فاستقبله بعض من جاء منها فأخبره أن القوم قد قتلوا ، فقال : علي بالقوم ! وتبعه الخيل وسبقوهم حتى دخلوا على معاوية فأخبروه خبر ما أتى له مالك بن هبيرة ومن معه من الناس ، فقال لهم معاوية : اسكتوا ، فإنما هي حرارة يجدها في نفسه ، وكأنها قد طفئت ، ورجع مالك حتى نزل في منزله ، ولم يأت معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبى أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى ، وإن حجر بن عدي لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر ؛ فقبلها ، وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده في جموع قومه حتى دخل عليه ورضي عنه(١) .

ولم يكن رضاهُ عنه وسكوتهُ وسكونه إلا لكسر الفتنة وإخماد نار الحرب ، وذلك دليلٌ على إدانة معاوية لأن القاتل يدفع الدية

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ٢٧٨ .

لذوى المقتول !! والدية مبلغ من المال يتعارف عليه فى كل زمان على حسب قيمة العملة المتداولة .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، ان عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الى معوية فى حجر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلمُ أبى سُفيان ؟ قال : غاب عنى حين غاب عنى مثلك من حلماء قومي ، وحملنى ابن سُميّة فاحتملت[١] .

ومهما قدمت يا معاوية من الأعذار فلن ينفعك ذلك ، والسابق إلى القتل والقاتل كلاهما فى الجريمة سواء . وإن كان عندك يا معاوية حلماء وحكماء فلن يمنعوك عن سطوة السلطان ونزعة الشيطان وبلوغ الملك مهما كلفت الأثمان . وكان ذلك سيرتك وتلك هى سريرتك حتى اورثتهما سخلك وفرخك يزيد لعنة الله فأوطأت له الرقاب ، ليكون متسلطا بعدك عليها ويعلوا على نفوس الأبرياء جاعلا نفسه خليفة للمسلمين بسعيك ، فالشر لا يورث الا الشر والفسادُ لا يخلف إلا الفساد ، فإلى أين المفر وربك بالمرصاد ، ينتقم منك كما انتقم من ثمود وعاد .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن مروان بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا حرصنا لتغيرت بنا الأحوال والست بنا

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٩،٢٧٨

الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيّرنا قتل حُجر ، أمــا والله إن كــان ما علمتُ لمسلمًا حجّاجاً معتمراً[١] .

ولا يحتاج الدرّ والجوهر إلى تثمين ، فهو غنــيٌ بصــدفه الصدرْ عن مكنون ذاته ، ولا يحتاج لمن يدلّ عليه ، فهو المعلن عن مكانه كلما حرُص على أخباءه دل ذلك على مكانه ، وكــذلك حجر بن عدي رضوانُ الله تعالى عليه وعلى أصحابه .

قال أبو مخنف : حدثني زكرياء بــن أبــي زائــدة ، عــن أبي إسحاق : قال : أدركتُ الناس ، وهــم يقولــون : إن أول ذل دخل الكوفة موتُ الحسن بن عليّ وقتلُ حُجر بن عديّ ، ودعــوة زياد[٢] .

وهذا شيءٌ مسلم فعزةُ الناس بأوليائهم وأئمتهم والصــالحين من أتباعهم، وإنما حديثُ زكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إســحاق يكشف عن فاجعةَ الإسلام بموت الإمام الحسين بن علي بــن أبــي طالب عليهما السلام ، علماً أيها القارئ العزيز أن مــوت الإمــام الحسن كان بسبب معاوية الذي كاد المكائد المريرة حتى دس السم إلى الإمام الحسن ، وكيف يكون الناسُ بعز وسلام وسلطانهم متمثل معاوية بن أبي سفيان ، لأنه كما قال النبي صلى الله عليه وآله إذا صــلح السلطان صلحت الرعية ، وهكذا كان البلاء يتزايــد علــى أهــل

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧٩ .

(٢) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٧٩ .

الكوفة حتى فجعوا بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وانتبه الظالمون منهم والخاذلون لهم ، بسطوة المختار ابن عبيد الله الثقفي ، الذي قام بأخذ الثأر من قاتلي الحسين وقتل عبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد ومن كان يواليهم ويناصرهم.

قال أبو مخنف : وزعموا أنّ معاوية قال عند موته : لي يومٌ من ابن الأدبر طويلٌ ! ثلاث مرّات - يعني حُجرا[1] .

وهذا الزعم صحيح فقد ذُكر لك أيضا في ترجمة معاوية في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي ، ولن يجد ذلك بشيء من النفع ، ولن تُكفر الملامة ذنب معاوية ، ولن تغسل العار الذي ركبه من دماء الأبرياء والصالحين والأولياء ، وأي موبقة من الموبقات ارتكب معاوية ، لا يندى الجبينُ لها ولا يحترق القلب عليها أو لا تأسفُ النفس عليها ، فكلُ فعل من أفعاله يندى الجبينُ له ، وها هو التاريخ ينكل به وبأفعاله ويفضحه شر فضيحة .

قال أبو مخنف : عن الصقعب بن زهير ، عن الحسن ، قال : اربع خصال كنّ في معاوية ؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبقة : انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة ؛ واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميّرا ، يلبس الحرير ويضرب الطنابير ، وادّعاؤه زيادا ؛ وقد قال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(١) ـ تاريخ الطبري : ج٥ ـ ص٢٧٩

(الولد للفراش ، وللعاهر الحجرُ) ، وقتلهُ حُجْرا ، ويلاً لــه مــن حُجْرٍ ! مرّتين .

وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصاريّة ، وكانــت تشــيّع ترثي حُجْرا:

ترفّعْ أيّها القمرُ المنيرُ ... هــل تــرى حُجْــرا يســيرُ[1]
يسيرُ إلى معاوية بــن حربٍ ... ليقتلــهُ كــمــا زعــم الأميــرُ
تجبّرت الجبابرُ بعــد حُــجْرٍ ... وطاب لها الخورنقُ والسّديرُ[2]
وأصبحت البلادُ بهــا مُحُولا ... كــأن لــم يُحْيــها مُزْنٌ مطيرُ
ألا يا حُجْرُ حجْرَ بــني عديٍّ ... تــلقّتــك السلامــةُ والســرورُ
أخافُ عليك ما أرْدى عدياً[3] ... وشيــخا فــي دمشق لــه زئيرُ
يرى قتل الخيار عليه حــقّاً ... لــه مــن شــرّ أمّــته وزيــرُ
ألا يــا ليت حُجْراً مات موْتا ... ولــم يُنحــر كــما نُحر البعيرُ!
فإن تهلكْ فكلُّ زعــيمِ قــوم ... مــن الدنيا إلــى هُــلْك يصــيرُ

وقالت الكنديّة ترثي حُجــرا - ويقــال : بــل قائلهــا هــذه الأنصاريّة :

دمــوعُ عيْني ديمةٌ تَقطُــرُ ... تبكي عــلى حُجْر ومــا تفترْ
لو كانت القوسُ على أسره ... مــا حُــمِلَ السيفُ له الأعورْ

---

(١) الأغاني ١٦ : ١٠ ؛ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات

(٢) الأغاني : ترفعت الجبابر " .

(٣) الأغاني : أخاف عليك سطوة آل حرب .

وقال الشاعر يحرّض بني هند من بني شيبان على قيس بن عُباد حين سعى بصيفيّ بن فسيل :

دعا ابنُ فسيل بال مُرّة دعوة ولاقى ذباب كفاً ومعصما
فحرّض بني هند إذا ما لقيتهمْ وقُلْ لغياث وابنه يتكلّما
لتبْك بني هند قُتيلةٌ مثل ما بكت عرْسُ صيفيّ وتبعث مأتما

قال غياث بن عمران بن مرّة بن الحارث بن ذبّ بن مرّة ابن ذهل بن شيبان ، وكان شريفاً ، وقُتيلةُ أخت قيس بن عُباد ، فعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث في مواطنه ، فقال حوشب للحجّاج بن يوسف : إن منّا امرأ صاحب فتن ووثوب على السلطان ، لم تكن فتنةٌ في العراق قطّ إلا وثبت فيها ، وهو ترابيّ ، يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في مواطنه كلها ، يحرّض الناس حتى إذا أهلكهم الله ، جاء فجلس في بيته ، فبعث إليه الحجاجُ فضرب عنقه ، فقال بنو أبيه لآل حوشب : إنما سعيتمْ بنا سعيا ، فقالوا لهم : وأنتم انما سعيتم بصاحبنا سعيا[١] .

ويا للبلاء الذي نزل على أهل العراق بعد زياد ابن أبيه وعبيد الله بن زياد ، إذ جاءهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي أنزل بأهل العراق الويلات ، وبالذات العلويين ، أبناء علي وفاطمه ، ومن والاهم وناصرهم ، ولم يسلم الناس من ولاة معاوية الذين

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ــ ص٢٨١ ، ٢٨٠ .

كانوا يعملون له في البلاد الإسلامية ، ويظنون بأنفسهم أنهم على الاسلام باقون وإليه منتسبون فالإسلام منهم بريء وعنهم بعيد، لأن المسلم من يسلم الناس من يده ولسانه ، فمن باب أولى أن يسلم الأخيار ، ويحسن إلى الأبرار ، ويتفضل على الأصحاب الذين كانت لهم صحبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل كان العكس تماما مع زياد ابن أبيه أنزل الأذى والضرر، والظلم والجور والقتل بالناس وبالذات بصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقال أبو مخنف : وقد كان عبد الله بن خليفة الطائي شهد مع حُجْر بن عديّ ، فطلبه زياد فتوارى ، فبعث إليه الشرط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخذوه ، فخرجت أخته النوار فقالت : يا معشر طيّئ ، أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ! فشد الطائيون على الشُرَط فضربوهم وانتزعوا منهم عبد الله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوثب على عديّ بن حاتم وهو في المسجد ، فقال : ائتني بعبد الله بن خليفة ، قال : وما له ! فأخبره ، قال : فهذا شيء كان في الحيّ لا علم لي به ؛ قال : والله لتأتيني به ، قال : لا ، والله لا آتيك به أبدا ، أجيئك بابن عمي تقتله ! والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه. قال : فأمر به إلى السجن ، قال : فلم يبق بالكوفة يمانيّ ولا ربعيّ إلاّ أتاه وكلّمه ، وقالوا : تفعل هذا بعديّ بن حاتم صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قال : أخرجه على شرط ، قالوا : ما هو ؟ قال : يخرج ابن عمّه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان ، فأتى عديّ فأخبر بذلك ،

فقال : نعم ، فبعث عديّ إلى عبد الله بن حليفة فقال: يا بن أخي ، إنّ هذا قد لجّ في أمرك، وقد أبى إلا إخراجك عن مصرك ما دام له سلطان. فالحق بالجبلين. فخرج؛ فجعل عبد الله بن حليفة يكتب إلى عديّ، وجعل عديٌّ يمنّيه، فكتب إليه:

تذكّرتَ ليلى والشَّبيبةَ أعْصُرا ... وذكْرُ الصِّبا برْحٌ على من تذكّرا
وولّى الشَّبابُ فافتقدتَ غُضُونَه[1] ... فيالك من وجدٍ به حين أدبرا ![2]

(١) [illegible] ووس سدلى .
(٢) [illegible] عصري . ج٥ ـ ص ٢٨١

الفصل السابع

الموقع والبناء

ولقد اختار الله سبحانه إلى الولى الناصح لدينه الوفى بعهد إمامه الصحابي حجر بن عدي أن يدفن فى أرض دخلها فاتحا مع صفوف المسلمين لما حرروا بلاد الشام ودخل أهلها فى الإسلام وها هى بلاد الإسلام يدفن بها شهيدا فى سبيل الله لم يغسل ولا يكفن ويدفن ويتخذ قبره مسجدا في بلدة عذراء . وذكر صاحب معجم البلدان أن عذراء : بالفتح ثم السكون ، والمد ، وهو فى الأصل الرملة التى لم توطأ ، والدرة العذراء التى لم تثقب وهى قرية بغوطة دمشق فى إقليم خولان معروفة وإليها ينسب مرج ، وإذا انحدرت من ثنية العقار وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيته أول قرية تلى الجبل ، وبها منارة ، وبها قتل حجر بن عدي الكندي وبها قبره ، وقيل إنه هو الذي فتحها ، وبالقرب

منهم راهط الذي كانت فيه الوقائع بين الزبيرية والمروانية . قال الراعي :

وكم من قتيل يوم عذراء لم يكن

لصاحبه في أول الدهر قاليا

وبعد مقتله ودفنه ، علم الناس أن هذه القبور ضمت أجساد أناس وقفوا من أجل الحق موالين لإمامهم علي بن أبي طالب فقتلهم معاوية بن أبي سفيان لأنهم رفضوا البراءة من الإمام علي بن أبي طالب ، وبعد ما عرف أهل البلدة الحق من الباطل ورفضوا الظلم شيدوا على قبر حجر الصحابي ومن معه قبة اتخذوها مسجدا وذلك بعد موت معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ للهجرة ، وهلاك ابنه يزيد بن معاوية ، إذ بدأ الناس يلتفتون إلى الحق وإلى ظلم يزيد بن معاوية ومن قبله أبيه وما انزله يزيد بصحابة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبأهل المدينة المنورة بعد ما أباحها يزيد بن معاوية في واقعة الحرة[١] .

(١) راجع تاريخ المدينة لأبي شبة ، أحداث سنة ٦٣ للهجرة .

الفصل الثامن

التكريم الإلهي لمحمد وآله

مما لا يخفى على العاقل إذا ما فكر وتأمل ، أن هناك من بين بدائعِ صنعِ الله جل جلاله ، روائعَ خلابة ، إذا نظرت إليها أخذتك الدهشةُ ، وقادك العجب إلى التساؤل .. يا سبحان الله ، وهكذا يترادف الحال إلى أعمقِ التساؤلات ومنها ما لا نحصل على إجابةٍ لها ومنها ما لا نحصل على شيء ، وترى من العلي الأعلى أنه جعل لكلِ شيءٍ قمة يعلو بها ويعرفُ من خلالها.

وإليك الأمثلة التي تقربُ لك المعنى :

فمثلاً الجبال يعرف ارتفاعها وتعلم ضخامتها من خلال ما تصل إليه قممُها ، والهضابُ كذلك يعرف ارتفاعها ، والأشجار تعرف برؤسها وحتى الثمار التي فيها فتراها بارزة من بين الأغصان والأوراق فتساهم في تكميل وبيان القمة للشجرة ، وكذلك الحال في الزهور ، فلا بد لها من قمة تقصدها النحلة

- وبقصدها الإنسان ، فتكون القمة في الزهرة شذاها النابع من رحيقها الذي يكون أيضا قصدا للنحلة . وفي الإنسان فإن القمه أيضا تختلف لكن في النهاية تكون النتيجة واحدة ، فمثلا ترى هناك إنسان يكونُ قمة في العلم . وآخر يكون قمةً في الحلم وآخر يكون قمة في الأدب والخلق، وآخر يكون قمة في الإنسانية وآخر يكون قمة في الحنان والعاطفة . وهكذا ، فترى أيها القارئ العزيز مما تقدم أن هناك لكل شيء قمة يعرف بها ، ولابد لهذه الحياة من تلك القمم ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان لا يقبل ولا يرضى إلا بمن هو أرقى منه ، وخاصة إذا كان الطرف المقابل هو المعلم والآخر متعلم فعلى سبيل المثال إذا جاءك رجل وقال لك لا تعتدي على جارك ، ثم بعد فترة من الزمن لاحظت من ذلك الناهي اعتداء على جاره فلا يمكن أن نقبل قوله ، أو إذا جاءك رجل وقال لك ، يا فلان صلي لماذا لا تصلي ؟ وهو تارك للصلاة ، فلا يمكن أن تقبل قوله ، أو تأخذ بنصيحته . فمن هنا !!! نرى أن الله سبحانه وتعالى قد كرم من بين الخلائق أجمع أناسا قد امتازوا بالكمال ، وفازوا بالرضا والإحسان ، قد علت هممهم، ونشطت أبدانهم في عبادة الله ، وحازوا على درجات عالية في العصمة ، التي هي منصبٌ إلهي وتكريم رباني ، وما ذلك من الله بعبث أو لهوٍ حاشى لله ، بل هو تدبيرٌ حكيم من لدن علي حكيم ، لحاجة الناس دائما وأبدا إلى المرشد الحكيم والمعلم

العالم ، ولكون الإنسان بطبعه الجاف لا يقبل النصح ممن بمستواه في المنزلة ، ولرب سائل يسأل ، قائلاً ومن سكلف عنهم قد ذكرهم الله في كتابه : ﴿ **قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾[١] .

وإنما هذه المثلية فلابد منها لأمور :

١- أن الإنسان لا يستوعب إلا حجمهُ أو من هو مثله !! وهذا كما قلت في باب النصح والتوجيه والإرشاد .

٢- لابد أن يكون هناك مثلية في البشرية - حتى تتقبل الناس وجودهم وبأنهم جميعاً ذووا طبيعة واحدة .

٣- أهمية الأحكام الشرعية السماوية ، فلو كانوا غير لبشر لانفردوا بأحكام خاصة ، مما يصعب على الناس تقليدهم وأتباعهم ، ولابد من التقليدُ والإتباع ، لإجراء التطبيق الكامل للأحكام السماوية .

لذلك نرى أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول صلوا كما رأيتموني أصلي .

فلو كان من الملائكة مثلا لكانت له عبادة خاصة عليه ظفوس معينة ، كما نقرأ في خطب أمير المؤمنين (ع) : إن لله جل جلالهُ وعلا شأنه ملائكة ركع لا يستقيمون ، وقياماً لا يركعون .

---

(١) سورة الكهف - الآية ١١٠ .

وسجدا لا يستوون وجلس لا يسجدون ، وهكذا خلقُ الله لا نظير له . فتبارك وتعالى عما يصفون .

فإذا نرى أنه لا بد لنا من أناس مميزة وقادة مسددة ، وحكماء مرشدة وأئمة معصومة ، عصمهم ربهم ، وأهِّلوا لذلك ، وكانوا بما عندهم أهلٌ ، وكفانا بهم فخرٌ ، صلوات الله تعالى عليهم .

ونحن ماذا نحتاج !!!؟ : ألا نحتاج أن يكون عندنا معلم أعلمُ منا ومرشد أفهم منا ، لماذا أحدنا إذا عطل جهاز من الأجهزة الكهربائية في بيته، يأخذه إلى خبير به ، لأنه يخشى عليه من نفسه ، فلو مد يدهُ إليه وهو لا يعلم قد يتلفه ، عوضا عن أن يصلحه ، وخصوصاً إذا كان عندك جهاز معقد كالكمبيوتر مثلا فلا يمكن ، أن تتلاعب بشيء من قطعاته الداخلية ، إلا إذا كنت ذا خبرة ، وإن كنت دا خبرة ، فلا يمكن أن تكون خبيراً بأكثر من علم واختصاص ، وهكذا نحن البشر لابد لنا من إنسان يكون عالم بالعلم من الله . في كل شيء ، لذلك نقرأ في التاريخ عن الإمام محمد بن علي الجواد الذي كان عمره تسع سنوات أجاب على ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد امتد المجلس إلى عشرين ليلة ، وهذا ما أنا بحاجة ماسة إليه، في أي مجال سألت أحصل على جواب لأني أحملُ عقلاً والعقل حياتهُ العلم ومادتُه الفكر وحاجته السؤال ولا يسدُ هذا كلهُ إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن

والحسين وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والمهدي ابن الحسن الحجة المنتظر صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

وكما يقول الإمام موسى بن جعفر الكاظم : ورثنا من جدنا رسول الله ألف باب من العلم يفتح لنا من كل باب ألف ألف باب من العلم . وهذا إحصاءه يكون مليار باب من العلم كيف حمل ذلك الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كل ذلك ، إنما هي العصمة والاتصال الإلهي الدائم ، وهناك ملاحظة في قوله عليه السلام حينما يقول ورثنا وهذا يختلف عن قول علمنا أو تعلمنا.

فيحق من المحبين لمحمد وآله الفداء ، بالأرواح والأموال ، وما ذلك إلا وفاء من المحب لحبيبه : وبكل ما عندنا قليل لو افتدينا ، وذاك هو الوفاء لمحمد إذ لا أجر له إلا المودة في القربى .

ولو فكرنا في الفداء بالأرواح والأموال لمحمد وأهل بيته عليهم السلام وقلنا ما الدافع لذلك ؟.. سنعلم اذا فكرنا أن الدافع هو الوفاء من الحبيب لحبيبه .. وذلك إنما يكشف عن جانب كبير من بين جوانب الأخلاق الذي يذكرها النبي الأكرم في حديثه أحسنكم أخلاقا أكملكم إيمانا .

وممَّ نزيد في التعرف على التكريم الإلهي لمحمد وآله الأطهار ، موقف همام بن الصحابي حجر بن عدي . الذي طلب منه أبوه حجر ان يذبح قبله ، فلما سألوه السجانة كيف تقدم ابنك للقتل أولاً يا حجر ؟ قال حجر : رأفة به لأنه لا يستطيع أن يرى الدماء تفور من رقبة أبيه . فلما ذبحوه أولاً رفع حجر يديه إلى الله قائلاً : الحمد لله على قتل همام شهيداً فقال السجانة تباً لك يا حجر أيّ أب أنت تحمدُ الله على قتل ولدك : قال حجر بل أحمدُ الله على سلامة ولايته أمَا والله لو رآني ولدي والسيف يغوصُ في عنقي والدماء تفور من رقبتي يضعف ويرتعد ويتراجع عن ولايته للإمام علي ويتبرأ من إمامه أما والآن وقد ضمنت ولايته لإمامه وعدم البراءة منه ومضى شهيداً في رضى الله ورسوله وإمامه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويحق لمحمد وآله الفداء بأرواح الصالحين الذين ختمت صفحات حياتهم بأروع ختام وانتهت على أحسن حال من الرضا بقضاء الله وقدره . مضياً في سبيل الحق النير الذي أنارته ولاية الإمام علي بن أبي طالب التي جعلها الله فرضاً على الخلائق . وضحت لها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء أعظم تضحية . وأعظم فداء . قدمت أضلاعها وجنينها بصبر عجزت عن حمله ملائكة الأرض والسماء .

فهرست المصادر

١- القران العظيم .

٢- غرر الحكم .

٣- تاريخ اليعقوبي .

٤- سيرة ابن هشام .

٥- الأخبار الطوال .

٦- مروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية)

٧- التاريخ الصغير .

٨- التاريخ الكبير .

٩- الجرح والتعديل .

١٠- المعارف .

١١- طبقات ابن سعد .

١٢- جمهرة أنساب العرب .

١٣- الأغاني .

١٤- مشاهير علماء الأمصار .

١٥- الزيارات .

١٦- عيون الأخبار .

١٧- تهذيب تاريخ دمشق .

١٨- أُسد الغابة .

١٩- المستدرك .

٢٠- المعجم الكبير .

٢١- تاريخ خليفة .

٢٢- طبقات خليفة .

٢٣- دول الإسلام .

٢٤- أنساب الأشراف .

٢٥- الكامل في التاريخ .

٢٦- فهرس الأعلام .

٢٧- الاستيعاب .

٢٨- الغدير .

٢٩- مرآة الجنان .

٣٠- البداية والنهاية .

٣١- سيرة أعلام النبلاء .

٣٢- تلخيص المستدرك .

٣٣- المعرفة والتاريخ .

٣٤- الإصابة .

٣٥- شذرات الذهب .

٣٦- الوافي بالوفيات .

٣٧- النجوم الزاهرة .

٣٨- تاج العروس .

٣٩- العبر .

٤٠- تاريخ الطبري .

٤١- تاريخ ابن عساكر .

٤٢- الكامل في التاريخ .

٤٣- تاريخ الإسلام للذهبي .

٤٤- تهذيب ابن عساكر .

٤٥- تاريخ دمشق .

٤٦- معجم البلدان

٤٧- وسائل الشيعة .

٤٨- الترغيب .

٤٩- كنز العمال .

٥٠- بحار الأنوار .

٥١- شرح نهج البلاغة .

٥٢- جامع كرامات الأولياء .

٥٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

٥٤- تاريخ الدول الإسلامية .

٥٥- تذكرة الخواص .

٥٦- النصائح الكافية .

٥٧- تاريخ أبي الفداء .

٥٨- الصحيفة الرضوية .

٥٩- لسان العرب .

٦٠- إحقاق الحق .

٦١- مجمع الزوائد .

٦٢- نور الأبصار .

٦٣- تاريخ المدينة لابن شبة .

الفهرست